كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

أصداء وباء الكورونا

في

شعر الدكتور محمد دياب غزّاوي

إعداد

د / وائل صلاح إسماعيل محمود

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الرابع)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

أصداء وباء الكورونا في شعر الدكتور محمد دياب غزاوي

وائل صلاح إسماعيل محمود
مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – إيتاي البارود – مصر
البريد الإلكتروني : waelsalah٢٠٣٤@azhar.edu.eg

الملخص :
تدور فكرة هذا البحث حول دراسة شعر وباء الكورونا في ديوان (الحب في زمن الكورونا) للشاعر الدكتور محمد دياب غزاوي ، ويشتمل البحث علي مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، المقدمة وبها تعريف بموضوع البحث وجدته وخطة السير فيه ، ثم التمهيد ويشتمل علي عنصرين : العنصر الأول : وهو بعنوان صورة الوباء والطاعون في الشعر العربي ، العنصر الآخر وهو بعنوان : أضواء على حياة الشاعر وديوانه ، ثم بعد ذلك فصول البحث كالتالي : الفصل الأول بعنوان : حديث الشاعر عن تجربته الشخصية مع وباء الكورونا ، ويشتمل علي ثلاثة عناصر : العنصر الأول :شعر الغزل ، العنصر الثاني: شعر الشكوي والألم ، العنصر الثالث : شعر الحنين ، ثم الفصل الثاني بعنوان : أحداث ومظاهر المجتمع إبان أزمة وباء الكورونا في شعر محمد غزاوي ، ويشتمل هذا الفصل علي خمسة صور : الصورة الأولي : الحديث عن عموم الوباء وعالميته ، الصورة الثانية : الحديث عن فساد الأخلاق في زمن الوباء ، الصورة الثالثة : الحديث عن أزمة غلق المساجد ، الصورة الرابعة : الحديث عن دور الأطباء في مواجهة الوباء ، الصورة الخامسة : رثاء الضحايا والشهداء ، ثم الفصل الثالث بعنوان : الخصائص والسمات الفنية في شعر الوباء ، ويشتمل هذا الفصل علي أربعة عناصر : العنصر الأول : العاطفة ، العنصر الثاني : اللغة والأسلوب ، العنصر الثالث : الخيال ، العنصر الرابع : الوزن والموسيقي ، ثم بعد ذلك خاتمة البحث ونتائجه ، ثم قائمة المصادر والمراجع وفهرس البحث.

الكلمات المفتاحية : أصداء – وباء – الكورونا – شعر – محمد دياب غزاوي

The echoes of the corona epidemic in the poetry of Dr. Muhammad Diab Ghazzawi

Wael Salah Ismail Mahmoud.

Lecturer of Literature and Criticism at the Faculty of Arabic Language - Al-Azhar University - Itay Al-Baroud – Egypt.

E-mail : waelsalah٢٠٣٤@azhar.edu.eg

Abstract:

The idea of this research revolves around studying the poetry of the Corona epidemic in the poet (Love in the Time of Corona) by the poet Dr. Muhammad Diab Ghazzawi, and the research includes an introduction, an introduction, three chapters and a conclusion, the introduction and definition of the research topic I found And the plan to walk through it, then the preface, and it includes two elements: The first element: which is entitled the image of the epidemic and the plague in Arabic poetry, the other element, which is entitled: Spotlight on the poet's life and his poetry, then after that the research chapters are as follows: The first chapter entitled: The poet's talk about his personal experience with The Corona epidemic, and it includes three elements: The first element: the poetry of spinning, the second element: the poetry of complaining and pain, the third element: the poetry of nostalgia, then the second chapter entitled: The events and features of society during the crisis of the Corona epidemic in the poetry of Muhammad Ghazzawi, and this chapter includes five pictures The first picture: Talking about the general and global epidemic, the second picture: Talking about the corruption of morals in the time of the epidemic, the third picture: Talking about the crisis of closing mosques,

the fourth picture: Talking about the role of doctors in facing the epidemic, The fifth image: Lament Victims and martyrs, then the third chapter entitled: Characteristics and artistic features in the poetry of the epidemic, and this chapter includes four elements: the first element: emotion, the second element: language and style, the third element: imagination, the fourth element: weight and music, then after that the conclusion of the research and its results , Then the list of sources, references and search index.

Keywords : echoes, corona, epidemic, poetry, Muhammad Diab Ghazzawi

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في محكم التنزيل : " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا لا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور " (١).

والصلاة والسلام علي أشرف خلق الله وخاتم رسل الله ، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين . القائل في حديثه الشريف : " الطاعون شهادة لكل مسلم " (٢).

وبعد ،،،

فإن من سنن الله تعالي في خلقه تقلبهم من حال إلي حال ، وانتقالهم من طور إلي طور ، وفي ذلك الأمر دلالة علي قدرة الله المطلقة ، وإرادته النافذة ، " يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار " . فلا نعماء تدوم ، ولا بأس يطول ، وتلك سنة الله في خلقه ، " سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا " (٣).

ومن جميل رحمته سبحانه بخلقه تذكيره إياهم من حين إلي آخر بالآيات والنذر ، رحمة بهم ، وحماية لهم ، وتذكيرا لهم بنعمه وآلائه عليهم ، فهو القائل سبحانه : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

(١) الآيتان ٢٢ / ٢٣ سورة الحديد .

(٢) المسند الصحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت ٣ / ١٥٣٢

(٣) الآية ٢٣ سورة الفتح .

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " [1] .

وذلك حتى يكون الناس علي ذكر دائم لربهم – سبحانه وتعالي – ، واستحضار دائم لعظمته وقدرته التي لا يعجزها شيىء في الأرض ولا في السماء .

فمع مطلع هذا العام الأليم الحزين ، عام ألفين وعشرين من الميلاد ، والعالم المخدوع يرفل وينعم بحضارته الهشة الزائفة ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمر الله الذي لا مرد له ، ولا عاصم منه إلا من رحم، فبين عشية وضحاها استيقظ العالم بأسره علي كارثة الكوارث ومصيبة المصائب ألا وهي وباء الكورونا المستجد ، حيث هبت ريح وبائية مدمرة ، كان منشأها من مدينة (ووهان الصينية) ، وعرفت بعد ذلك بوباء أو فيروس (كورونا القاتل) أو ما يسمي علميًا بـ (كوفيد ١٩) ، هذا الوباء العالمي المستجد الذي أطلقت عليه منظمة الصحة العالمية لقب (جائحة)[2] ، والذي انتشر سريًعا بين مدن وبلدان العالم بأسره ، واقتحم دون إذن أو إنذار الحدود والسدود ، وغزا الممالك والبلاد دون رادع أو مانع ، وسار بين البشر مسير النار في الهشيم ، فلم يسلم من شره المستطير صغير ولا كبير، وغزا بجيوشه وجنوده الخفية المهلكة الدول والممالك والسلاطين ، بعد أن وقفت دول العالم المتقدم وحكوماته المتغطرسة المستبدة مقهورة وعاجزة عن دفع هذا الوباء أو التصدي له ووقف زحفه وانتشاره بين البشر .

(١) الآيات ٤٢ – ٤٥ سورة الأنعام .

(٢) التعبير الصحيح والسليم لغويًا لهذا الفيروس البشري هو لفظة (الوباء) وليست الجائحة ، ذلك لأن الوباء هو كل ضرر يقع علي الإنسان في نفسه وبدنه ، بينما مفهوم الجائحة هي : الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من زرع وضرع من سنة أو فتنة ، وكل ما استأصله فقد جاحه واجتاحه ، وجاح الله ماله وأجاحه بمعني أهلكه بالجائحة . ينظر لسان العرب مادة : جوح .

وعلي إثر انتشار هذا الوباء القاتل اتخذت كافة دول العالم العديد من القرارات والإجراءات الإستثنائية الصارمة ، حيث أغلقت الحدود بين الدول ، وتوقفت حركة الانتقالات والسفر ، وأغلقت المدارس والجامعات وكافة المؤسسات والأماكن التي يجتمع فيها الناس ، وذلك منعًا من تجمع الناس وتزاحمهم خوفًا من انتشار الوباء بينهم .

وشلت حركة الحياة بعد أن توقفت كافة المؤسسات والهيئات عن العمل والإنتاج إلا القليل الذي استمر في ترقب واستحياء .

وقد فرض هذا الوباء العالمي المستجد حالة من الانعزال التام والتباعد الاجتماعي بين الناس في كافة شئون الحياة ، سواء علي الصعيد الدولي أوالمحلي ، وبين الأفراد والجماعات ، حيث أغلقت كل دولة مجالها الجوي والبري والبحري ، وفرضت الحكومات والدول علي مواطنيها حالة من الانعزال التام ، الذي أعقبه فرض حظر التجوال والتنقل ، وصار العالم أشبه ما يكون بمدينة كبيرة من الأشباح لا ترى فيها بشرًا ، ولا تسمع فيها همسًا .

وكذلك أغلقت المساجد ودور العبادة في كل مكان ، وعطلت شعيرة الجمعة وإقامة الجماعات ، ووصل الأمر إلي تعطيل الصلوات والشعائر الدينية في بيت الله الحرام ومسجد رسول الله – صلي الله عليه وسلم – والمسجد الأقصي المبارك ، ونادى المؤذن عقب كل أذان بقوله : ألا صلوا في بيوتكم ألا صلوا في رحالكم .

وعلي صعيد الاقتصاد العالمي فقد كانت حركة العمل والإنتاج شبه متوقفة ، بعد أن خفضت المؤسسات والمصالح نسبة حضور العاملين فيها إلي نصف القوة ، منعًا من التزاحم والتكدس الذي قد يزيد من حدة انتشار الوباء وتفاقمه .

وخيمت علي البشرية حالة من الهلع والفزع المريب ، بعد أن تفاقمت وازدات أعداد المصابين والمتوفين جراء هذا الوباء المستجد ، الذي بات يحصد أرواح الناس بلا هوادة أو رحمة .

واكتظت المستشفيات ودور الرعاية الصحية بالمصابين والمبتلين بهذا الطاعون ، ولم تسع تلك المستشفيات أعداد المصابين المتسارعة المفزعة ، التي تجاوزت الآلاف في اليوم الواحد ، فقامت الحكومات بإنشاء مستشفيات ميدانية وأماكن للحجر الصحي داخل المدن الجامعية ومراكز الشباب وغيرها من الساحات والميادين بغية إنقاذ المرضي وتقديم الرعاية لهم .

وبات الجميع في منازلهم في خوف وفزع ، يرقبون ويشاهدون في خيفة وتوجس أخبار هذا الوباء القاتل ، وما يتعلق به من حصر أعداد المصابين والشهداء .

وفي خضم هذا الجو الملبد بالغيوم والآلام والأحزان ، وبعد أن زاغت فيه الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وزلزل الناس زلزالا شديدا ، لم يجد الناس أمامهم ملجئا ولا ملاذا من هذا الوباء الفتاك إلا بالالتجاء السريع إلي الله – عز وجل – والتضرع الصادق والخاشع له والدعاء بأن يرفع الغمة عن العباد والبلاد ، بعد أن عجز أهل الطب والدواء عن مقاومة هذا الفيروس ، أو إيجاد مصل مضاد له يوقف زحفه وانتشاره السريع في البلاد .

وكان للأدب عامة وللشعر بصفة خاصة حضور بارز وكبير في التفاعل الكبير والتجاوب السريع مع تلك الأزمة الوبائية الحادة ، التي كادت أن تعصف بالبشرية لولا أن تداركتها رحمة الله تعالي وعنايته ، وظهرت العديد من صور ومظاهر الأدب الكوروني منذ بداية تلك الأزمة ما بين منظوم ومنثور ، حيث أبدعت العديد من القصائد الشعرية التي راحت تصف هذا الوباء الوحشي وما صاحبه من أحداث جسام ، وتغيرات جذرية في حياة الناس ، وأنشئت العديد من المقالات الأدبية التي عالجت تلك الأزمة من منظور فني وأدبي ، وألفت العديد من القصص والروايات المأساوية التي قصت وحكت معاناة البشر وما ألم بهم من بأس وضر جراء هذا الوباء الفتاك .

وكان الشعر هو سيد الحلبة والفارس في هذا الميدان الأدبي ، ولا عجب في ذلك الأمر ، حيث إن الشعر يعد هو الذاكرة الواعية لحوادث العصر، والترجمان الصادق والمعبر

عن مشاعر الإنسان ووجدانه فيما يعتريه من أحداث وأمور ، وهو كما وصفه عبد الرحمن شكري في قوله :

ألا يــا طــائر الفــردوس   إن الشـــــعر وجـــــدان

وظهر علي الساحة الأدبية العديد من الشعراء الأصلاء الذين تجاوبوا مع هذا الوباء بأشعارهم ، معبرين بفنهم وشعرهم عن فداحة هذا الخطب العسير ، وجسامة هذا البلاء العظيم الذي جثم علي البشرية ، مصورين بشعرهم مدي ما أحدثه هذا الوباء العظيم في حياة الناس من آلام وأضرار بدنية ونفسية وخيمة ، وما خلّفه من وجع وحرمان ، وفقدان لأحبة وأصدقاء كانوا بالأمس القريب بيننا ، ثم تخطفهم هذا الوباء بشراسته وحدته ، ثم هوى بهم في غياهب الموت وظلمة الأجداث .

وانبرى الشعراء كذلك يصورون ما صاحب هذا الوباء من مظاهر وأحداث ، وما أتى به من متغيرات ومستحدثات في الحياة ، وما فرضه علي الناس بلا استثناء من قوانين وإجراءات احترازية واستثنائية صارمة لم تكن في حسبان أحد من البشر من ذي قبل .

ومن الشعراء من أصيب بهذا الوباء ، واكتوى بناره وأواره ، وألزمهم الفراش وأماكن العزل الصحي التي أعدت للمصابين بهذا الوباء ، وعلي الرغم من شدة الإصابة بهذا الوباء المستجد وإنهاكه الشديد لجسد المصاب به بدنيًا ونفسيًا ، حيث لم يستطع المصاب به الحراك أو التنفس بشكل طبيعي ، فضلًا عن الحالة النفسية السيئة التي خلفها هذا الوباء بسبب الحبس والانعزال التام عن الحياة والأحياء ، إلا أن من أصيب به من الشعراء استطاع أن يتغلب علي كل تلك الآلام والأوجاع ، واستطاع أن يبوح ويصيح بشعره عما يضطرم في نفسه ، ويموج في صدره من آلام وأحزان ، وما يعتري جسده من علل وأوجاع ، واستطاع أن يصف حياته مدة الإصابة بهذا الوباء ، وما يعتريه من ألم وشقاء ، ويصف حياة من حوله من المرضي والمصابين ،وحال من قضي أجله بسبب هذا الوباء.

ومن هؤلاء الشعراء القلائل الذين كانت لهم معايشة ومصاحبة حقيقية وواقعية مع وباء كورونا المستجد شاعر مصري أصيل ، وأكاديمي نبيل ، وهو الأستاذ الدكتور " محمد دياب غزاوي " وهو أحد فرسان الكلمة البليغة ، وأساطين الأدب في مصر ، تعرض مثل غيره من المصريين قدرًا للإصابة بهذا الوباء ، ولكنه صابر وقاوم ، وتمسك بالإيمان وبالأمل في سعة رحمة الله وعظيم لطفه بعباده ، وبإيمانه الشديد علي المقدرة علي تخطي تلك الأزمة وتجاوزها ، والنجاة من شرها المستطير ، وأطلق أثناء تلك الأزمة العنان لشاعريته الصادقة المتدفقة ، في التعبير والبوح عن كل ما ألم به في تلك المدة العصيبة من آلام وأوجاع بدنية ونفسية مريرة ، مرت به وبغيره طيلة مدة بقائه في مستشفي الحجر الصحي بغية الاستشفاء من هذا الوباء القاتل .

وأبدعت قريحته الشعرية المرهفة العديد من القصائد الشعرية المعبرة التي ترتبط إما بطريق مباشر بهذا الوباء المستجد أو بوحي منه ، وذلك منذ بداية ظهور الوباء وانطلاقه من مدينة ووهان الصينية ثم اجتياحه لمعظم بلدان العالم بلا استثناء .

وقد أخذ وطننا الحبيب مصر كغيره نصيبه من هذا الوباء العالمي الذي لم يفرق بين بلد وآخر ، وأصابت سهام هذا الوباء جسد شاعرنا الغزاوي ، وجعلته ضمن قائمة المصابين بهذا الوباء حينا من الوقت .

وأفرد الدكتور محمد غزاوي وأبدع في مجال الأدب الكوروني قبل وأثناء وبعد أزمته مع وباء الكورونا ديوانًا من الشعر الصادق المعبر أسماه بـ (الحب في زمن الكورونا) ، وتدور معظم قصائد هذا الديوان من مبتدئه حتى منتهاه حول هذا الوباء العالمي الذي غيّر خارطة الأحداث في العالم كافة . ومنذ ظهور هذا الوباء ونشأته في الصين ومخيلة الشاعر "محمد غزاوي " تدور وتثور هنا وهناك لتلتقط وترسم اللوحات الفنية المعبرة والصادقة عن هذا الوباء العالمي ، الذي سكن بدنه ، وقلب موازين حياته رأسًا علي عقب.

وشاعرنا كما أسلفنا قد تعرض للإصابة المباشرة بهذا الوباء ، وقضي مدة قاربت الشهر في الحجر الصحي ، حتي تعافي نهائيًا وتمامًا بفضل الله ـ تعالى ـ من هذا الوباء ، بعد أن أبدعت قريحته الفنية ديوانًا من الشعر العذب البليغ ، صوّر فيه تجربته الشخصية وآثارها وأضرارها مع هذا الوباء تصويرًا فنيًا بليغًا .

وقد اطلعت علي العديد من القصائد والأشعار التي قيلت حول هذا الوباء لشعراء كُثُر ، إلا أنني وجدت فارقًا كبيرًا بين شعر الدكتور "محمد غزاوي " وشعر غيره في هذا المجال ، وذالك راجع بلا شك إلي معايشة الشاعر ومصاحبته المأساوية مع هذا الوباء معايشة واقعية وشخصية ، قاربت الشهر ، مما طبّع شعره حول هذا الوباء بطابع مميز ومختلف عن شعر غيره ، فليس من قال في شيء كمن عاش الشيء بنفسه، وتلظي بناره، وتجرّع غصّته ، فصار ما هو متخيل عند غيره من الشعراء الذين كتبوا في هذا الموضوع حقيقة ورأي العين عنده ، وما كان شعورًا ووجدانًا عند الغير واقعًا ملموسًا ومعايشًا عنده ، الأمر الذي دفعني إلي العكوف على دراسة هذا الموضوع المستجد في شعر الدكتور " محمد غزاوي" في محاولة لتحليل ورصد ملامح وأبعاد تلك الأزمة الوبائية في شعر الدكتور محمد غزاوي .

وبما أنه لا وجود لعلم إلا بوجود منهج ، الذي هو " الطريق المؤدي إلي الكشف عن الحقيقة والعلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تعين علي سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلي نتيجة معلومة " .[١]

فكان من الضروري الاستعانة بمنهج أدبي يتناسب وطبيعة هذا الموضوع الجديد وظروفه ، وارتأيت من الأفضل الاعتماد علي المنهج التكاملي في دراسة هذا الموضوع وذلك لما يتميز به هذا المنهج من شمولية وعموم ، وموضوع كهذا في جدته وطرافته الأدبية في حاجة إلي منهج عام وشامل ليكشف عن حيثيات وجماليات هذا الموضوع في

(١) مناهج البحث الأدبي عبد الرحمن بدوي طبعة دار النهضة سنة ١٩٦٣ م ص ١٥ .

شتي الجوانب والاتجاهات المتعلقة به ، فيأخذ من المنهج النفسي والتاريخي روحهما ، ثم يدرس النصوص علي هدي من المنهج الفني الذي هو أقرب المناهج إلى العمل الأدبي.

وتأتي خطة البحث مشتملة علي مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ، فبعد هذا التقديم يأتي مبحث تمهيدي يشتمل علي عنصرين : العنصر الأول بعنوان: " صورة الوباء والطاعون في الشعر العربي " ، والعنصر الآخر بعنوان: " أضواء علي حياة الدكتور محمد غزاوي وديوانه (الحب في زمن الكورونا) ، ثم بعد ذلك الفصل الأول بعنوان : "حديث الشاعر عن تجربته الشخصية مع وباء كورونا ، ثم الفصل الثاني بعنوان " حديث الشاعر حول مظاهر وأحداث المجتمع مع وباء كورونا ، ثم الفصل الثالث بعنوان " الخصائص والسمات الفنية في شعر وباء كورونا ، ثم تأتي خاتمة البحث ونتائجه ، ثم ثبت بمصادر البحث ومراجعه ، ثم فهرس عاما لموضوعات البحث .

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل ...

التمهيد

العنصر الأول

(صورة الوباء والطاعون في الشعر العربي)

الوباء أو الطاعون هو كل مرض عام ، أو هو الموت العام ، أو سرعة الموت وكثرته في الناس ، وأرض وبيئة أي كثيرة الوباء " .

والطَّاعُون هو الْمَرَضُ الْعَامُّ والوَباء الَّذِي يَفْسُد لَهُ الْهَوَاءُ فَتَفْسُدُ بِهِ الأَمْزِجة والأَبدان" [1] . قَالَ ابنُ النَّفِيس: الوَبَاءُ: فَسادٌ يَعْرِض لِجَوْهَر الهَوَاءِ لأَسبابٍ سَمَاوِيّة أَو أَرْضِيَّة، كالمَاءِ الآسن والجِيَفِ الكثيرَة . وقال أطباؤنا القدامى : الوَبَاءَ حَقيقة تَغَيُّر الهواءِ بالعَوَارِض العُلْوِيَة، كاجتماع كواكبَ ذاتِ أَشِعَّة، والسُّفْلِيّة كالملاحِم وانفتاحِ القُبور وصُعودِ الأَبْخِرة الْفَاسِدَة، وأَسبابُه مَعَ مَا ذُكِرَ تَغَيُّرُ فصولِ الزمانِ والعناصرِ وانقلابُ الكائنات، وَذكروا لَهُ علاماتٍ، مِنْهَا الحُمَّى، والجُدَرِيّ، والنَّزَلَات، والحِكَّة والأَورام، وغيرُ ذَلِك . فالْوَبَاءُ: وَخَمٌ يُغَيِّرُ الهواءَ فتَكثُر بِسَبَبِهِ الأَمراضُ فِي الناسِ، والطاعونُ هُوَ الضَّرْبُ الَّذِي يُصِيب الإنحسَ من الجِنِّ "[2] .

ويختلف الطاعون عن الجائحة في أن الجائحة هي الشدة أوالنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة ، وكل ما استأصله فقد جاحه واجتاحه ، وجاح الله ماله وأجاحه ، بمعني أهلكه بالجائحة .

والجائحة المصيبة تحلّ بالرجل في ماله فتجتاحه كله ، قال ابن شمل : أصابتهم جائحة أي سنة شديدة اجتاحت أموالهم فلم تدع لهم وجاحا " [3].

---

(١) لسان العرب لابن منظور / مادة و /ب/أ ومادة طعن .

(٢) : تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي الناشر: دار الهداية ص ٤٧٨ .

(٣) لسان العرب مادة جوح .

ويذلك تكون الجائحة آثارها وأضرارها خاصة في الأموال والممتلكات ، ولا تتعلق بالأبدان أو الأنفس ، أما الوباء والطاعون فهو داء يصيب بدن الإنسان نفسه ، وضرره وخطره يتعلق بحياة الإنسان وموته .

وحقيقة الطاعون عند الأطباء ما قاله الطبيب الفيلسوف " ابن سينا " وغيره من الحذّاق : الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتّالأ يحدث في المواضع الرخوة ، والتغابن من البدن ، وأغلب ما يكون تحت الإبط ، وخلف الأذن " [١] .

واختلف العلماء هل ينفع التداوي للطاعون ؟ فذهب جماعة من العلماء إلي أن التداوي لا يفيد مع الطاعون شيئا ، وقالوا : إن كل داء بسبب من الأسباب الطبيعية له دواء من الأدوية الطبيعية إلا الطاعون ، فإنه قد أعيى الأطباء دواؤه " [٢] .

وما أحسن قول القائل في هذا المعني : [٣]

لكـــــل داءٍ دواء يســـــتطب بــــــه ... إلا الحماقـــــة، والطـــاعون، والهرمــــا

والطاعون موجود منذ كانت الخليقة علي هذه البسيطة ، وفتكه بالحياة والأحياء مذكور ومسطور في الكتب عبر العصور والدهور، رصد المؤرخون منه ما رصدوا ، وتركوا ما تركوا ، والطواعين المشهورة في الإسلام خمسة منها : طاعون شيرويه في المدائن سنة ست من الهجرة في عهد النبي – صلي الله عليه وسلم – ، ثم طاعون عمواس في زمن عمر- رضي الله تعالى عنه - كان بالشام مات فيه خمس وعشرون ألفا، وفيه مات

---

(١) القانون في الطب للحسين بن عبد الله بن سينا الفيلسوف الرئيس (المتوفى: ٤٢٨هـ) ١٦٤/٣ .

(٢) ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي . الناشر دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الأولي سنة ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٠م ص ٢ .

(٣) المستطرف في كل فن مستطرف لشهاب الدين الأبشيهي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ص ٣٣ .

أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان. ثم- طاعون في زمن ابن الزبير . رضي الله عنه . في شوال سنة تسع وستين مات في ثلاثة أيام كل يوم سبعين ألفا، ومات فيه لأنس . رضي الله عنه . ثلاثة وثمانون ابنا، وقيل ثلاثة وسبعون. ومات لعبد الرحمن ابن أبي بكر أربعون ابنا. ثم- طاعون الفتيان في شوال سنة سبع وثمانين، سمي بذلك لأنه بدأ في العذارى بالبصرة وواسط والشام والكوفة. ويقال له طاعون الأشراف أيضا. ثم- طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة في رجب واشتد في رمضان. وكان يحصى في سكة المربد بالكوفة كل يوم ألف جنازة ثم خف في شوال وكان بالكوفة طاعون سنة خمسين وفيه مات المغيرة بن شعبة " [1] .

وطاعون عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما – في عام (٦٩) هـ ، وبعده الطاعون العام سنة (٨٠) هـ ، وهذه هي طواعين القرن الأول الهجري . [2]

وأما في القرن الثاني الهجري فقد وقعت عدة أوبئة منها : طاعون الشام سنة (١٠٧) هـ ، ثم طاعون البصرة سنة (١١٩) هـ ، ثم طأاعون مسلم بن قتيبة سنة (١٣١)هـ ، وأما في القرن الثالث الهجري فقد وقع طاعون بالبصرة سنة (٢٢١)هـ ثم طاعون بالعراق سنة (٢٤٩) هـ ، .

وأما عن طواعين القرن الرابع الهجري فقد حدث طاعون سنة (٣٠١) هـ ، ثم طاعون أصبها، سنة (٣٢٤) هـ .

وأما عن الأوبئة في القرن الخامس فقد وقع طاعون في البصرة سنة (٤٠٦)هـ ثم طاعون عظيم ببلاد الهند وقارة آسيا سنة (٤٢٣) هـ ، ثم طاعون شيراز ، وواسط والأهواز ، والبصرة وبغداد سنة (٤٢٥) هـ .

(١) كنوز الذهب في تاريخ حلب لأبي ذر أحمد بن إبراهيم سبط ابن العجمي الناشر: دار القلم، حلب الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ١ / ١٦٩ .

(٢) ينظر تاريخ الإسلام ٢ / ٩١٦ / وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٣ .

وأما عن طواعين القرن السادس فقد اجتاح بلاد المغرب والأندلس طاعون سنة (٥٧١) هـ ويعتبر أشد طاعون عرفه عصر الموحدين .

وفي القرن السابع الهجري حدث طاعون بمصر سنة (٦٣٣) هـ ، وطاعون بغداد وبلاد الشام بسبب المقتلة العظيمة التي أوقعها التتار بالمسلمين سنة (٦٥٦) هـ فمات خلق كثير من تغير الجو ، وفساد الريح ، فاجتمع علي الناس الغلاء، والوباء والفناء والطعن والطاعون .

وفي القرن الثامن حدث طاعون بمصر أيضا سنة (٧٢٠) هـ ، وفي سنة (٧٤٨) هـ تعرضت بلاد الشام بطاعون إجتاح معظم مناطقها ، أطلق عليه الطاعون الأعظم " وسمي بذلك لسعة انتشاره وشدة فتكه بالناس .

وفي القرن التاسع وقع طاعون بمصر أيضًا سنة (٨٠٩) هـ ، وفي سنة (٨٣٣) هـ حدث طاعون بمصر سمي بطاعون الفصل الكبير أو الموت الأسود ، وكان طاعونا واسعًا فتك بكثير من الخلق .

وفي القرن الثالث عشر حدث طاعون في المغرب سنة (١٢١٢) هـ والذي انتقل بالعدوي من التجار الذين حملوه معهم إلي الإسكندرية إلي تونس فالجزائر فالمغرب ، وتفشي الطاعون في فاس ومكناس، ووصل إلي الرباط فكان يخلف (١٣٠) ضحية في اليوم الواحد " ، إلي غير ذلك من الطواعين والأوبئة التي لا يحصي عددها [١] .

وتفاعل الشعراء العرب منذ القدم مع تلك الأوبئة والطواعين تفاعلًا جادًا وكبيرًا ، وتجاوبوا مع واقع مجتمعاتهم المأساوي ، جراء تلك الطواعين القاتلة المهلكة التي أقضت مضاجعهم ، وأهلكت الكثير منهم .

(١) يراجع في تفصيل تلك الأوبئة والطواعين كتاب الأمراض والأوبئة وآثارها علي المجتمع المصري لليلي عبد العزيز طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وسجلت ذاكرة الشعر العربي علي مر العصور والأزمان تلك الأزمات والكوارث الوبائية التي حلّت بالبلاد والعباد ، حيث عاصر الكثير من الشعراء العرب الطواعين الكبرى التي عاني منها البشر في البلدان العربية ، وكانت لهؤلاء الشعراء تجاربهم التي استلهموها من تلك الأوبئة والطواعين .

وأكثر الشعراء العرب – خاصة في مصر والشام – أكثر البلدان العربية قديمًا عرضة للأوبئة والطواعين من الحديث عن الطاعون وتصوير ما أحدثه في البلاد والعباد من موت وخراب .

ومما قيل من أشعار حول تلك الأوبئة قول " جمال الدين محمد بن نباتة :

سر بنا عن دمشق يا طالب العي ش فما في المقام للمرء رغبه

رخصت أنفس الخلائق بالطّا عون فيها فكل نفس بحبه [1]

ففي هذين البيتين يكشف ابن نباتة ما أحل بالناس من وباء عظيم في دمشق ، وبات يحصد أرواح الناس بلا هوادة أو رحمة ، حتى رخصت به أنفس الناس وصارت لا تساوي شيئًا بسبب كثرة الموت وانتشار الهلاك هناك ، مما حدا بالشاعر بالفرار من دمشق هربا من الموت بالطاعون .

وقال " جمال الدين إبراهيم المعمار " في الطاعون : [2]

قبّح الطاعون داء فقدت فيه الأحبه

بيعت الأنفس فيه كل إنسان بحبه

(١) ديوان ابن نباتة المصري تقديم د. عوض الغباري طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٧م ص ٥٠ .

(٢) ينظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري الظاهري الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي دار الكتب مصر ١٠ / ٢١٢ .

وهنا يذم الشاعر الطاعون المتوحش الذي بات يحصد أرواح الناس ، ويفرق بين جموعهم ، ويورثهم فقد الأحبة والأهل ، وصيّر أرواح الخلق بشدته وشراسته هينة رخيصة لا تملك دفع الضرر أو النجاة منه .

وقال" إبراهيم المعمار" أيضًا في الطاعون : [١]

يا طالب الموت أفق وانتبه   هذا أوان الموت ما فاتا

قد رخص الموت على أهله   ومات من لا عمره ماتا

وفي هذين البيتين يحذر الشاعر الناس من الموت الذي يحيط بهم ويطلبهم في كل وقت وحين ، وأنه قد رخص أرواح الخلائق ، و لم يمهل الصغير حتي يكبر ويبلغ من العمر فتيًا .

ويقل الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب : [٢]

إن هذا الطاعون يفتك في العا   لم فتك امرئ ظلوم حسود

ويطوف البلاد شرقًا وغربًا   ويسوق الخلائق نحو اللحود

وهنا نري الشاعر يكشف عن مدي وحشية هذا الطاعون ، وفتكه بالخلق في كل مكان دون هوادة ولا رحمة ، ومدي شراسته وإحاطته بالناس في كل البلاد ، ودفعهم دفعًا إلي الموت والهلاك .

---

(١) ينظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري الظاهري الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي دار الكتب مصر ١٠ / ٢١٣ .

(٢) السابق ١٠ / ٢١٢ .

ولابن الوردي " وقفات في شعره مع الوباء والطاعون ، فنراه يعلل سبب انتشاره في البلاد بكثرة السيئات والخطايا التي اقترفها الناس في حياتهم ، وذلك في قوله : (١)

قـــالوا فســـاد الهــــواء يـــــردي   فقلــــت يـــــردي هـــــوى الفســـــاد

كـــــم ســــــيئات وكـــــم خطايـــــا   نــــادي علــــيكم بهــــا المنــــادي

فهو يبين هنا أن كثرة الطاعون وانتشاره بين الناس إنما مرجعه إلي ما كسبته أيدي الناس من المعاصي والذنوب ، وهو في تعليله لهذا الأمر نراه متأثرًا بقول الله تعالي: " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبِرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " . (٢)

وفي موطن آخر يكشف ابن الوردي عن ما حلّ بمدينة حلب من هلاك وخراب بسبب الطاعون الذي ضربها وذلك في قوله : (٣)

حلـــــب – والله يكفـــــي   شــــرها – أرض مشـــــقه

أصــــبحت حيّـــة ســــوء   تقتــــل النـــــاس ببزقـــــه

وله أيضا في الطاعون الذي حلّ بحلب قوله : (٤)

إنّ الوبـــــا قـــــد غلبـــــا   وقـــد بـــدا فـــي حلبـــا

قـــالوا لـــــه علــــى الــــورى   كـــــاف ورا قلــــت وبـــــا

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٠ / ٢١٢ .

(٢) الآية ٤١ سورة الروم .

(٣) النجوم الزاهرة ١٠ /٢١٢ .

(٤) السابق نفس الصفحة

ويقول ابن الوردي كذلك مبينًا مدي شماتة أهل الروم في الوباء والطاعون الذي حلّ بالعرب وأهلك الكثير منهم : [1]

سكّان سيس [2] يسرّهم ما ساءنا وكذا العوائد من عدوّ الدّين

الله ينفذه إليهم عاجلا ليمزّق الطاغوت بالطاعون

ففي هذين البيتين يكشف ابن الوردي عن مدي ما يحمله أهل سيس والغرب كافة للعرب والمسلمين من عداوة وحقد دفين ، ظهر في شماتتهم فيهم وفرحهم بمصابهم ، وقت أن حلّ بهم هذا الوباء ونزل بهم الطاعون .

وللشيخ " صلاح الدين الصفدي أبيات يصف فيها الطاعون ومواطن إصابته بالجسد ، ومن ذلك قوله: [3]

رعى الرحمن دهرا قد تولّى يجازى بالسّلامة كلّ شرط

وكان الناس في غفلات أمر فجا طاعونهم من تحت إبط

وفي هذين البيتين يقارن الصفدي بين عصرين مرّ بهما : عصر نعم الناس فيه بالسلامة والعافية ، وعصر آخر فاجأهم الطاعون وأفجعهم في أنفسهم وأهليهم ، ثم ذكر موضع إصابة الناس بالطاعون وهو موضع الإبط من الجسد .

ويقول الصفدي كذلك في موضع آخر :

(١) النجوم الزاهرة ١٠ / ٢١٢ .

(٢) سيس : بلد علي الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس علي عين زربة . ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م ٣ / ٢٩٧ .

(٣) النجوم الزاهرة ٢١١/١٠.

قـــد قلـــت للطّـــاعون وهـــو بغـــزّة قـــد جـــال مـــن قطيـــا [١] إلـــى بيـــروت

أخليـــت أرض الشـــام مـــن ســـكّانها وأتيـــت يـــا طـــاعون بالطـــاغوت

وهنا يخاطب الشاعر الطاعون الذي نزل بمدينة غزة ويشكوه ، بعد أن أخلي المدن والبلاد من سكانها وأهلها ، وصيرها أطلالًا وخرابًا من بعد السلامة والعمران فيها .

وشهد العصر الحديث أيضًا موجات ضارية ومتتابعة من الأوبئة والطواعين التي نزلت ببعض البلاد والمدن العربية ، وخلّفت فيها الموت والهلاك والخراب ، وتفاعل شعراء العصر مع تلك الأزمات والكوارث التي حلّت بهم وبأوطانهم ، ورصدوا في شعرهم معاناة الناس وآلامهم وأحزانهم جراء تلك الأوبئة والطواعين القاتلة .

ومن أوائل شعراء العصر الحديث الذين تحدثوا عن الطاعون الشاعرة العراقية " نازك الملائكة " ، التي تحدثت في شعرها عن وباء (الكوليرا) الذي ضرب مصر حديثًا ، وعاث فيها الهلاك والفساد ، وأزهق آلاف الأرواح فيها ، ونظمت في ذلك الوباء قصيدتها الشهيرة (الكوليرا) ، التي عبرت من خلالها عن أحوال الموتي من ضحايا الوباء في ريف مصر وفيها تقول :[٢]

.....

في كهف الرعب مع الأشلاء

في صمت الأبد القاسي حيث الموت دواء

استيقظ داءُ الكوليرا

---

(١) منازل علي الحدود المصرية قديما ينظر رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) لمحمد بن عبد الله بن بطوطة الناشر: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط عام النشر: ١٤١٧ هـ - ٥ / ١٠٥ .

(٢) ينظر ديوان شظايا ورماد لنازك الملائكة طبعة بغداد الطبعة الأولي سنة ١٩٤٩ مـ ص ٥٤

حقدًا يتدفق موتورا

هبط الوادي المرح الوضاء

يصرخ مضطربًا مجنونا

لا يسمع صوت الباكينا

في كل مكان خلّف مخلبُه أصداء

في كوخ الفلاحة في البيت

لا شيء سوي صرخات الموت

فنري نازك الملائكة في هذه القصيدة وهي تصور داء الكوليرا في شراسته وهمجيته بوحش قاتل مفترس ، استيقظ صارخًا مجنونًا ، يبحث ويفتش عن ضحاياه في أجساد الضعفاء والبسطاء بلا رحمة أو شفقة بهم ، لا يعبأ بصراح الصغير ولا بضعف الكبير، وأبي إلا أن يترك بمخلبه الفتاك القاتل أشلاء الضحايا ورائحة الموت في كل مكان.

وتقول نازك الملائكة أيضًا في الكوليرا :[1]

في شخص الكوليرا القاسي ينتقم الموت

الصمتُ مرير

لا شئ سوي رجع التكبير

حتى حفّار الموت ثوي .. لم يبق نصير

الجامعُ مات مؤذنه

الميتُ من سيؤبِّنه ؟

---

(١) ينظر ديوان شظايا ورماد لنازك الملائكة طبعة بغداد الطبعة الأولي ١٩٤٩ مـ ص ٩٧ .

لم يبق سوي نوح وزفير

الطفلُ بلا أم أو أب

يبكي من قلب ملتهب

وغدًا الداءُ الشريرُ سيلقفُه

وهكذا يتبين لنا جليًا مدي تجاوب الشعراء العرب علي مرّ العصور والدهور مع الأزمات والنكبات ، وتفاعلهم الصادق مع واقع مجتمعهم وأممهم ، وما حلّ بأوطانهم من أوبئة وطواعين ، وما خلفته تلك الأزمات والكوارث في حياة الناس من آثار وأضرار وخيمة، ما يؤكد بوضوح علي قيمة الشعر وسمو رسالته في الحياة ، وعدم انعزاله عن واقع الناس وأحوالهم مهما عظم الخطب واشتد البلاء .

ويأبى الوباء والطاعون أن يترك العالم الآن يهنأ بالسعادة والعافية ، فيعاود الوباء كرته وسطوته الغاشمة علي البشرية الآن مرة أخري ، ويضرب وباء " كورونا " العالم بأسره ، دون تمييز بين قوي أو ضعيف ، أو غني أو فقير ، في واحدة من أشد وأعتى النوبات والضربات الوبائية التي تشهدها البشرية ، ليخلِّف هذا الوباء ورائه الملايين من الموتي والمصابين ، ليعلن الخلق جميعهم طوعًا وكرهًا استسلامهم ورضوخهم لإرادة الله النافذة القوية ، بعد أن فتنوا بدنياهم ، واغتروا بها.

ويستنفر الشعراء المعاصرون قواهم لمجابهة هذا الوباء ، ورصد حالة الحياة والأحياء معه ، ومن هؤلاء الشعراء الذين واجهوا وتصدوا لهذا الوباء بجسدهم وبفنهم الأستاذ الدكتور " محمد دياب غزاوي " الذي نقف في الصفحات التالية معه لنلقي الضوء علي سيرته ومسيرته العلمية والأدبية ، لنخلص بعد ذلك إلي رصد أبعاد وأصداء تجربته الشعرية مع وباء كورونا المستجد .

العنصر الآخر

أضواء على حياة الشاعر " محمد دياب غزّاوي " وديوانه

(الحب في زمن الكورونا)

(التعريف بالشاعر) :

هو الأستاذ الدكتور " محمد دياب غزّاوي " أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة الفيوم ، ووكيل الكلية (سابقًا) لشئون التعليم والطلاب ، وعضو اتحاد كتَّاب مصر ، وعضو لجنة ترقية الأساتذة ببعض الجامعات المصرية .

ولد الدكتور محمد غزاوي في الثاني من شهر أبريل عام ١٩٧٤ م ، في قرية النصارية مركز أبشواي بمحافظة الفيوم ، و ينحدر من أسرة ريفية متوسطة الحال ، وكان متفوقًا في كل مراحله الدراسية والتعليمية ، التحق بكلية التربية جامعة القاهرة قسم اللغة العربية وفيها حصل علي المركز الأول في جميع السنوات الدراسية بها ، وتخرج منها سنة ١٩٩٦ م وعين معيدًا بها في نفس السنة ، ثم التحق بعدها بكلية الآداب جامعة القاهرة وحصل منها علي ليسانس الآداب وكان ترتيبه الأول علي دفعته ، حصل علي الماجستير في الأدب العربي من كلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة عام ٢٠٠٣م ، ثم حصل علي درجة الدكتوراه في الأدب العربي من كلية دار العلوم قسم الدراسات الأدبية جامعة الفيوم عام ٢٠٠٦ م [١] .

والدكتور محمد دياب غزاوي أديب ألمعي أريب ، له العديد من المقالات والكتابات الأدبية والنقدية ، وهو أستاذ جامعي لبيب ، عمل بجامعات مصر والسعودية ، له العديد من البحوث والمؤلفات الأدبية منها علي سبيل المثال (الإيقاع في شعر الرثاء بين جرير والفرزدق – الأمانة العلمية في منشورات جدة جذور وعلامات نموذجا – أطواق الذهب

(١) هذه المعلومات من مراسلات ومكاتبات الشاعر نفسه معي .

ومعارضتها في النثر العربي – القضايا النقدية الكبري في كتاب الفصوص لصاعد الأندلسي – شعر الطليق المرواني) .

وأشرف وناقش العديد من الرسائل والبحوث العلمية والأدبية ، وهو عضو بلجان التحكيم الجامعي داخليا وخارجيا ، وعضو بالعديد من الجمعيات والمراكز العلمية والثقافية بمصر والوطن العربي ، وحاصل علي جائزة جامعة الفيوم التشجيعية في الآداب عام ٢٠١٧ م ، وهو الآن يعمل أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الفيوم .[١]

وقد تعرض الدكتور محمد غزاوي قدرًا للإصابة بوباء الكورونا الذي أطلّ بوجه الوحشي القبيح علي العالم مع بداية عام ألفين وعشرين من الميلاد ، وكان لإصابة الدكتور غزاوي بهذا الوباء صدى واسع وكبير في عالمه الخاص ، والعالم المحيط به حيث كانت تصدر نشرة يومية بمتابعة حالته الصحية ، وتحدثت عن إصابته العديد من الصحف المحلية والعالمية ، حتى تعافي نهائيا بفضل الله ـ تعالى ـ من هذا الوباء وعاد سالما إلي أهله وعمله .

(حفظه الله وبارك في عمره وعمله) .

وهو شاعر عبقري موهوب له العديد من الدواوين والأعمال الشعرية منها (تراتيل العشق) الذي حصل به علي جائزة النشر الإقليمي علي مستوى شمال الصعيد والقاهرة الكبري عام ٢٠١٩ م ، وأحدث أعماله الشعرية هو ديوان (الحب في زمن الكورونا) وهو ما سنتعرف عليه ونقف معه بالدراسة والبحث .

وقفة مع ديوان (الحب في زمن الكورونا)

يعد ديوان (الحب في زمن الكورونا) أهم وأحدث أعمال الشاعر الدكتور " محمد دياب غزاوي " ، ومن خلال النظرة الأولي لهذا الديوان يتبين لنا أنه من الشعر الوجداني

(١) من موقع كلية الآداب بجامعة الفيوم .

الخالص، الذي جاء تصويرًا لوجدان الشاعر ومشاعره الخاصة، وما ألمّ به من مشاعر وأحاسيس أثناء تلك الأزمة العصيبة التي عصفت بالشاعر، وبالحياة وبالأحياء من حوله.

وبالنظر إلي العنوان الذي اختاره الشاعر لديوانه وهو (الحب في زمن الكورونا) نلحظ أنه قد استوحي هذا العنوان من مسمي رواية عاطفية بعنوان (الحب في زمن الكوليرا) للكاتب الكولومبي " غابرييل غارسيا ماركيز " الحائز علي جائزة نوبل في الأدب، ونشرت تلك الرواية لأول مرة في سنة ١٩٨٥ م باللغة الأسبانية ، ثم تحولت بعد ذلك إلي عمل فني باللغة الإنجليزية في عام ٢٠٠٧ م .

وتدور أحداث تلك الرواية حول قصة حب جمعت بين شاب فقير وفتاة جميلة، تعاهدا علي الحب والزواج ، ولكن حالت الظروف الاجتماعية دون تحقيق غايتهما، وتزوج كل منهما بآخر، ولكن ظل كل منهما علي حبه القديم ، والتقيا مرة أخري بعد كبرهما وتجاوزهما السبعين من العمر ، وخرجا سويًا في رحلة نهرية علي متن سفينة، وذلك أثناء انتشار وباء الكوليرا في العالم آنذاك .

وفي استعارة واستدعاء الشاعر هذا العنوان مسمى لديوانه دلالة عظيمة وغاية نبيلة في تلك الظروف الاستثنائية الحرجة، تظهر لنا في تلك الأجواء والطاقات الإيجابية والتفاؤلية التي يبثها هذا العنوان الموحي المعبر في نفوس الناس البائسة المحطمة إزاء تلك الأزمة الوبائية المتوحشة ، التي صبغت حياة الناس بصبغة سوادوية قاتمة، وأوجدت حالة من الهلع والفزع الشديد التي حلّت بالناس، وخيمت علي حياتهم بلا استثناء .

والناس في تلك الأزمة أحوج ما يكونون إليه شيئ إيجابي مبشر، ولو بشطر كلمة تبعث الأمل في نفوسهم اليائسة، والبهجة في قلوبهم البائسة، بعد أن سكنها الألم والحزن، وحلّ بها الفزع والإضطراب .

ولقد وُفِق الشاعرُ توفيقًا كبيرًا في اختيار هذا العنوان عنوانًا لديوانه، وهو كذلك عنوان لإحدي قصائد الديوان، وذلك لما لهذا العنوان من دلالة وغاية نبيلة ، تكمن في طاقات البشرى والتفاؤل التي يبثها في النفوس ، حيث يعد العنوان هو العتبة الأولي، وأول

نص بنائي من مكونات العمل الأدبي يطالعه القارئ ويتعامل معه، وهذا ما يدعو إلي الدقة والاهتمام في صياغة واختيار العنوان، لما له من أيديولوجية وانعكاسية واضحة ومؤثرة علي نفسية المتلقين والمطالعين له.

كذلك يتميز الديوان بإهدائه الطيب الحسن ، حيث أهداه الشاعر إلي الشهداء والمصابين جرّاء هذا الوباء ، وكذلك إلي العلماء والأطباء الذين كانوا ومازالوا هم جنود المرحلة وأبطال الأزمة الحقيقين ، الذين لم يدخروا طاقة أو وسعا في مواجهة الوباء والتصدي له ، وفي هذا الإهداء ما فيه من تقدير ووفاء وعرفان لأهل الفضل والعلم والعمل الذين ترتقي بهم الأمم وتتقدم .

ثم أتبع الشاعر الإهداء الطيب باستهلال بارع وماتع للديوان ، ومقدمة ضافية ووافية حول الديوان وظروف نشأته ونظمه ، بدأها بتعريف الشعر وماهيته ، وتميز الشاعر عن غيره ، وصور وحالات إبداع الشاعر للنص الأدبي ، ثم الإشارة إلي الظروف والمتغيرات التي طرأت علي الحياة والناس بظهور هذا الوباء القاتل ، ثم إصابته بهذا الوباء وانعكاسات تلك الإصابة علي نفسه وشعره .

وتعد تلك المقدمة الضافية إبداعًا نقديًا يوازي إبداع نظم الديوان وإنشائه ، وذلك لما لها من أثر في تقريب فهم الديوان وتوضيحه للمطالعين والدارسين له .

ويحتوي ديوان (الحب في زمن الكورونا) تقريبا علي ستين قصيدة ، وهو ديوان هجين ، جمع فيه الشاعر بين الأصالة والحداثة والمعاصرة ، حيث جاءت خمسون قصيدة منه علي نظام الشعر العمودي الأصيل ، وعشرة قصائد فيه علي نظام الشعر الحر ، وحرص الشاعر في بداية كل قصيدة أن يبين سبب إنشاء كل قصيدة ، وظروف نظمها ، وتحديد وقتها ، وذكر رويها ونغمها الموسيقي .

ونظم الشاعر جلّ قصائد هذا الديوان إبّان مدة إصابته بوباء الكورونا ، حيث قضى قرابة الشهر في معزله الصحي بمستشفى جامعة الفيوم ، ورصد في هذا الديوان حركة هذا

الوباء منذ بداية ظهوره في مدينة (ووهان) الصينية ثم انتشاره في شتى بلدان العالم ، مرورًا بإصابته به شخصيًا ، ثم تعافيه وشفائه منه بفضل الله .

وجاء حديث الشاعر في هذا الديوان الكوروني منصبًا في اتجاهين رئيسين :

الاتجاه الأول : وهو حديث الشاعر عن تجربته الشخصية مع هذا الوباء ، وآثاره وأضراره الشخصية منه ، وما عاناه وكابده طيلة مدة إصابته من آلام وأوجاع نفسية وبدنية أليمة .

الاتجاه الآخر : وهو حديث الشاعر عن آثار وأضرار هذا الوباء علي الصعيد العالمي والخارجي ، وما أحدثه في المجتمع من أحداث ومتغيرات كبيرة وخطيرة .

وفي الصفحات التالية ألقي الضوء والبيان علي هذين الاتجاهين بالتوضيح والتفصيل ، معتمدا في توثيق الأبيات والأشعار في هذا البحث علي ذكر القافية والروي لكل قصيدة ، وذلك حتى صدور الطبعة الأولي للديوان الذي هو قيد الطباعة والنشر .

الفصل الأول

حديث الشاعر عن تجربته الشخصية مع الوباء

كما أسلفنا سابقًا أن شاعرنا الدكتور " محمد غزاوي " قد تعرض لأزمة صحية وبائية حادة ، وذك إثر تعرضه قدرًا للإصابة بوباء الكورونا المستجد ، وذلك مع مطلع شهر مارس من عام ألفين وعشرين ، بعد أن حطّ هذا الوباء القاتل برحاله السوداوية علي ثرى مصر الآمنة .

وكان الإجراء الصحي المتّبع في التعامل مع المصابين بهذا الوباء هو عزل هؤلاء المصابين داخل مستشفيات أعدت للحجر الصحي للمصابين بهذا الوباء، وذلك خوفًا من انتقال الوباء وانتشاره بين الآخرين .

ومكث الشاعر في معزله الصحي مدة زمنية قاربت الشهر ، وذلك حسب قول الشاعر نفسه بأنه تعرض للإصابة بالوباء في ٣١ مايو سنة ٢٠٢٠م ، واستمر معه حتى تعافي منه نهائيًا بفضل الله في ٢٠يونيو ٢٠٢٠ م .

وكما يقال : إن الأزمات تصنع المعجزات ،فكانت تلك الأزمة الوبائية التي عصفت بشاعرنا كانت له كالوقود الحيوي الذي حرّك بداخله بواعث الفن ، وأجرى ينبوع الشعر فيه متدفقًا مترقرقًا ، وفجّر فيه طاقات الإبداع والإمتاع الفني ، فراح الشاعر يطلق من معزله الصحي صيحات الفن وأنّات القريض ، التي تلاشت معها آهات الألم وأوجاع الوباء المرير .

واستجمع الشاعر قواه النفسية والإيمانية ، وثارت شاعريته ، وانتفضت قريحته ضد همجية هذا الوباء ووحشيته ، وانطلق يصور كلّ ما ألم ونزل به من أوجاع وآلام ، وما يعتريه من هموم وأحزان .

وجاء حديث الشاعر في ديوانه عن تجربته الشخصية مع وباء الكورونا من خلال عدة قصائد وجدانيه غزلية وبكائية ، عبر خلالها الشاعر عن حالته النفسية والبدنية منذ بداية إصابته بالوباء ، وما لحقه من آثار وأضرار نفسية وبدنية أليمة ، وكيف قضي مدة عزله بعيدًا عن الأهل والأحباب .

وجاء حديث الشاعر عن تجربته الشخصية الواقعية مع وباء الكورونا في إطار وجداني صادق ، مفعم بالعاطفة الجياشة ، والشعور الإنساني النبيل ، وقد ظهر ذلك الاتجاه الوجداني في ثلاثة عناصر قولية وموضوعية وهي (شعر الغزل ، شعر الشكوي والألم ، شعر الحنين)

ونفصل القول في تلك العناصر والأغراض الشعرية فيما يلي :

العنصر الأول : شعر الغزل

آثرت أن أستهل الحديث عن موضوعات وفنون القول عند الشاعر حول وباء الكورونا بشعر الغزل وذلك لسببين رئيسيين هما :

السبب الأول : غلبة هذا الفن الشعري وكثرته في ديوان الشاعر ، حيث كان لهذا اللون النصيب الأوفر والأكبر في ديوانه ، ولعل في تسمية الشاعر ديوانه بمسمي " الحب في زمن الكورونا " خير شاهد علي هذا الأمر .

السبب الآخر : الحاجة الماسة والضرورية في تلك الظروف العصيبة إلي دراسة وقراءة هذا اللون العذب الرقيق من الشعر ، وذلك لما يتميز به هذا اللون العاطفي من بث حالة من الأمل والإيجابية في نفوس الناس المضنية ، وقد أكد الأطباء أنفسهم علي أهمية وضرورة أن يتحلي المصاب بوباء الكورونا بالنفسية المعتدلة السليمة ، وذلك لما لهذا الأمر المهم من أثر كبير في مواجهة هذا الوباء والتغلب عليه . وسنري في حينه كيف طوّع شاعرنا المصاب بهذا الوباء شعره العاطفي للتعافي والاستشفاء من هذا الوباء، بعد أن أعلن أن الحب وحده كفيل بأن يقضي علي الوباء ويوقف انتشاره .

فعلي الرغم من ضراوة المعركة مع وباء الكورونا ، واستشراء الوباء القاتل في كل مكان من ربوع البلاد ، وقتامة المشهد وضبابيته ، وأحيط الجميع بسياج من الفزع واليأس إلا أن الشاعر المصاب أراد أن يعلن للجميع في عزيمة وإصرار عن تمسكه وتشبثه بالأمل والاستشفاء ، وإقباله علي الحياة بعد أن أدبرت عنه بلذتها وعافيتها آنذاك ، علي الرغم من معاناته الشديدة وآلامه المبرحة ، ومن الموت الذي يحيط به في كل مكان ، ويشتم رائحته كل يوم في معزله الصحي الذي يعلن فيه كل وقت عن ضحية جديدة من ضحايا هذا الوباء من المصابين والمرضي .

وقد صرّح الشاعر وأعلن بأن الحب هو دواؤه وسلاحه في تلك المعركة المستعرة بينه وبين الوباء ، وبأنه سوف يضمن قصائده أنغام الحب الحالمة ، وذلك من خلال قوله : (١)

والحب في كل القصائد نغمة يطري النفوس وبالطلاوة يعزف

ونظرتنا إلي شعر الغزل في شعر الدكتور " محمد غزاوي " لن تكون نظرة إلي هذا الفن من حيث بواعثه ولوعته وحرقته عند الشاعر بقدر ما هي نظرة إلي انعكاسات هذا اللون وتأثيره الإيجابي والنفسي علي الشاعر المصاب الذي أضناه الألم والحرمان من الأحبة إبّان مدة إصابته وعزله .

وقد تميز شاعرنا في هذا الجانب العاطفي عن غيره من الشعراء ممن نظموا الشعر في وباء كورونا ، حيث جاءت جلّ أشعارهم حول هذا الوباء عويلا وبكاء وشكوى مما حلّ ونزل بالناس ، بعد أن أخمد هذا الوباء بوحشيته جذوة العواطف والمشاعر ، وأطفأ مظاهر الحب وبواعث الغزل بالقلوب ، وأرخي سدوله السوداء علي البشرية كافة ، فأنّي لأحد من عاطفة أو حديث عن الهوي والغرام وسط هذا الظرف الأسود الكئيب ؟ وقد هلعت النفوس

(١) الديوان ديوان الحب في زمن الكورونا للشاعر الدكتور محمد دياب غزاوي الناشر مركز الحضارة العربية بالقاهرة سنة النشر ٢٠٢٠ م ، ص٥٦ .

وبلغت القلوب الحناجر ، وانعزل الناس عن بعضهم البعض ، وتناءت الأبدان ، وصار القرب واللقاء سببًا للإصابة بهذا الوباء .

وعلي الرغم من تلك الحالة المأساوية فقد أبدعت قريحة الشاعر " محمد غزاوي " أثناء تلك المحنة سيلًا متدفقًا ومترقرقًا من قصائد الغزل والحب العفيف ، الذي لم يكتنفه تصريح أو خدش للحياء أو الذوق ، وإنما كان بوحًا عاطفيًا رقيقًا وعفيفًا ، نطالعه وكأننا نطالع ونقرأ لشعراء الغزل العذري في أزهي عصور العربية ، فما أجمل أن نستمع إليه في قصيدته " عنترة وعبلة في زمن الكورونا" ، والتي عارض فيها الشاعر معلقة "عنترة العبسي" التي بدأها بقوله :[١]

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

فيقول شاعرنا " محمد غزاوي " معارضًا عنترة : [٢]

يَا دَارَ عَبْلَةَ (بِالْمَسَلَّةِ)[٣]يَا اسْلَمِي ... وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاعْلَمِي

إِنِّي أُرِيْدُ الْقُرْبَ مِنْكِ بِنَظْرَةٍ ... لَكِنَّ (كُوْرُوْنَا) أَتَتْ بِتَلَوُّمِي

(كُوْفِيْدُ) يَحْصُدُ كُلَّ يَوْمٍ أَنْفُسًا ... فَالْحَالُ بُؤْسٌ قَدْ تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

وَغَدا يَزُوْرُ بِكُلِّ أَرْضٍ قِطْعَةً ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكِ حَصْدَ عَرَمْرَمِ

لَا تَغْضَبِي يَا عَبْلُ مِنِّي إِنَّنِي ... بِالْبَيْتِ أَمْكُثُ كَالْبَعِيْرِ الْأَجْذَمِ

---

(١) شرح ديوان عنترة طبعة دار اكتب العلمية بيرون الطبعة الأولي سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ص١١٧.

(٢) ديوان الحب في زمن الكورونا للشاعر الدكتور محمد دياب غزاوي الناشر مركز الحضارة العربية بالقاهرة سنة النشر ٢٠٢٠ م ، ص ٩٥ .

(٣) الْمِسَلَّةُ هي مِنْطَقَةٌ فِي مَدِيْنَةِ الْفَيُّوْمِ حَيْثُ يَسْكُنُ بها الشَّاعِرُ .

هَـلَّا سَـأَلْتِ (الْحَظْـرَ) يَـا ابْنَـةَ مَالِـكِ ... إِنَّ كُنْـتِ جَاهِلَـةً بِمَـا لَـمْ تَعْلَمِـي

يُنْبِيْـكِ مَـنْ بِالْبَيْـتِ أَنِّـي جَـالِسٌ ... وَصُـدَاعُ عَقْلِـي بِالْعِيَـالِ مُنَـادِمِي

(فَـالْحَظْرُ) حَـتْمٌ وَ(التَّجَـوُّلُ) مَغْـرَمٌ ... فَلْتَهْـدَئِي فَـالطَّيْفُ لَـمْ يَتَصَـرَّمِ

قَـدْ كُنْـتُ أَهْتِـفُ لِلنِّـزَالِ قَبَـائِلًا ... وَالْكُـلُّ يَصْـرُخُ هَيَّـا هَيَّـا أَقْـدِمِ

فَأُبِيْـدُ مِـنْهُمْ فِـي الْقِتَـالِ مَعَاشِـرًا ... وَالسَّـيْفُ مِنِّـي قَـاطِعٌ لَـمْ يُكْلَمِـي

فَـالْيَوْمَ أَصْحُو لَـيْسَ لِـي شَـأْنُ الْـوَغَى ... وَأَرُوْحُ أَغْـدُو فِـي الطَّبِـيْخِ بِمَنْـدَمِ

وَأَظَـلُّ أَكْـنُسُ غُرْفَتِـي مُتَبَاكِيًـا ... وَأَنَـا أُمَسِّـحُ دَمْعَتِـي بِالْمِعْصَـمِ

أَثْنِـي عَلَـيَّ بِمَـا عَلِمْـتِ فَإِنَّـهُ ... لَـيْسَ الطَّبِـيْخُ عَلَـى الْفَتَـى بِمُحَـرَّمِ

وَأَقُوْلُهَـا وَالْغَـيْظُ يَأْكُـلُ مُهْجَتِـي ... حَـبْسُ الْبُيُـوْتِ عَلَـى الْفَتَـى كَـالْعَلْقَمِ

مَـا عُـدْتُ أَسْـطِيْعُ الْحَيَـاةَ بِمَنْزِلِـي ... (فَـالْحَظْرُ) مَـوْتٌ وَ(التَّجَـوُّلُ) مَغْنَمِـي

فَلَقَـدْ سَـئِمْتُ حَيَـاةَ حَظْـرِي كُلِّهَـا ... يَـا رَبِّ عَجِّـلْ بِالشِّـفَاءِ الْمُبْـرَمِ

حَتَّـى أَعُـوْدَ إِلَـى حَيَـاتِي فِـي الْخَـلَا ... وَأَرُوْحَ أَغْـدُو بِالظُّبَـا وَالْأَسْـهُمِ

وَأَزِيْـنَ كُـلَّ مَجَـالِسٍ فِـي دَرْبِنَـا ... وَأَنَـالَ كُـلَّ حَظِيَّـةٍ كَالضَّـيْغَمِ

وَيَـرُوْقَ عَـيْشٌ بَـلْ وَيَصْـفُوَ رَوْضُـنَا ... وَيَطِيْـبَ كُـلُّ لِقَائِنَـا بِمُـنَعَّمِ

فَلْتَهْـدَئِي وَلْتَسْـمَعِي وَلْتَصْـبِرِي ... فَـالْخَيْرُ آتٍ رَغْـمَ بُـؤْسِ الْمَبْسَـمِ

نري الشاعر في هذه القصيدة يصور بعضًا من مظاهر البؤس والحرمان التي جاء بها وباء الكورونا ، فمن حصاد وإزهاق لأرواح الضحايا من البشر إلي فرض حظر قهري وإجباري ، سلب من الحياة كل معانيها ومظاهرها المبهجة ، فلا تجول ولا خروج إلا في

أضيق الحدود والأوقات ، وصار الجميع رهن المنازل طوعا وكرها ، وهو في هذه القصيدة يستدعي صورة عنترة العبسي ذلكم البطل العربي المغوار الذي كان لا يعرف ولا يهوي إلا مواطن النزال والقتال والترحال ، في مقارنة عصرية بعنترة اليوم في زمن كورونا الذي صار رهن المنزل وحبيس الحظر ، مقيد الحركة والإرادة ، أشبه بمن هو في إقامة جبرية بسبب الحظر الذي فرضه الوباء علي الجميع .

وثمة توافق وتوفيق بين كلا الشاعرين " العبسي والغزاوي ، فعنترة العبسي هو أحد شجعان العرب وشعرائها الأفذاذ ، تميز شعره الغزلي بالرقة والعفة والوضوح ، وكانت حياته سجالًا ونزالًا متواصلًا في ساحات الحب والحرب ، وعاش منبوذًا من قبيلته ، محرومًا من حبيبته ، بسبب سواد جلده وعبوديته ، بعد أن لفظته قبيلته اجتماعيًا ، وصارت حياته أشبه ما تكون بعزل اجتماعي مرير ، ولكنه استطاع بفروسيته وشجاعته أن يتغلب علي كل ذلك ، ويفخر بسواد لونه الذي كان يعد في الجاهلية أشد مرارة في نفس صاحبه من الوباء والجرب ، وأبقي ذكره في الخالدين .

وشاعرنا الغزاوي هو الآخر أحد فرسان الكلمة الأدبية والرسالة التعليمية ، تميّز شعره الغزلي بالرقة والعفة والوضوح ، وكان أحد المصابين الشجعان الذين واجهوا هذا الوباء القاتل بسلاح الحب والإرادة والأمل حتى تغلب عليه ونجا منه .

ويهرب الشاعر في قصيدته من الواقع المأساوي الحزين ويحيله إلي عالم باسم وطريف ، وذلك من خلال التعبير عن واقع الرجل في زمن كورونا الذي كان لا يعبأ بشئون البيت ولا بأعماله ، فيرسم صورة شعرية باسمة ومازحة تعبر عن واقع حاله في ظل تلك الأزمة ، بعد أن أقعده حظر كورونا البيت ، وألزمه القيام بأعباء المنزل وشئونه اليومية ، مستخدمًا في رسم تلك اللوحة الفنية الواقعية المازحة الألفاظ والمفردات الدالة علي هذا الواقع اليومي مثل: (صداع العيال ، أكنس ، الطبيخ ، الغسيل). وهي مفردات كما نرى تتعلق بشئون المرأة ومهامها المنزلية الحياتية ، إلا أنها صارت من بعض مهام الرجل ومسؤولياته اليومية في أوقات حظر كورونا .

وفي قصيدة أخري وعلي أنغام بحر الكامل يعزف الشاعر سيمفونية غزلية يواجه بها إجراءات وقرارات الحظر الحاسمة الخانقة قائلًا : (١)

رَاحَتْ تُغَازِلُ فِي الْمَنَامِ خَيَالِي ... حُوْرِيَّةٌ تَبْغِي وِصَالَ هِلَالِ

لَمَّا اسْتَبَدَّ بِهَا الْغَرَامُ تَجَاسَرَتْ ... وَالْحَظْرُ يَمْنَعُ وَصْلَهَا بِحِبَالِي

قَالَتْ فَدَتْكَ النَّفْسُ كَيْفَ سَبِيْلُنَا؟! ... فَالشَّوْقُ يَحْرِقُ فِي الْقُلُوْبِ ذُبَالِي

مَا عُدْتُ أَسْطِيْعُ انْتِظَارًا يَا فَتَى ... وَالصَّدْرُ ضَاقَ بِقُرْحَةٍ وَسُوَالِي

وَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِيَّ يَذْرِفُ مَاؤُهُ ... وَالْآهُ تَقْطُرُ بِالْأَسَى وَنِبَالِي

لَكِنَّنِي مُنْذُ ابْتِعَادِكَ يَا فَتَى ... حُمَّ الْغَرَامُ بِمُهْجَتِي وَمَآلِي

قُلْتُ اعْذُرِيْنِي إِنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وَالشَّوْقُ فِي صَدْرِي رَهِيْنُ عَوَالِي

لَكِنَّنِي لَا أَسْتَطِيْعُ لِقَاكُمُ ... وَالصَّبْرُ حَتْمٌ وَاجِبٌ بِمَنَالِ

فَاللهُ قَدَّرَ بُعْدَنَا وَلِقَاؤُنَا ... عَمَّا قَرِيْبٍ حَادِثٌ بِوِصَالِ

فَنَعُوْدُ نَهْفُوْ وَالْحَمَائِمُ حَوْلَنَا ... وَالزَّهْرُ يَنْمُلُ مِنْ قِدَاحِ دَلَالِ

وَالْغُصْنُ يَرْقُصُ وَالْبَنَفْسَجُ يَرْقُبُ ... وَالْأُقْحُوَانُ تَبَسُّمٌ يَنْدَى لِي

وَالْكَوْنُ كُلُّ الْكَوْنِ جَاءَ مُهَنِّئًا ... قَدْ ضَجَّ مِنْ فَرَحٍ عَلَى أَطْلَالِي

يَا مُقْلَتِي حَتَّى يَحِيْنَ وِصَالُنَا ... لَا تَقْتَطِي مِنْ حَادِثٍ وَغَوَالِي

وَثِقِي بِأَنَّ اللهَ صَادِقُ وَعْدِهِ ... سَيُزِيْلُ كُلَّ هُمُوْمِنَا بِنَوَالِ

وَنَرُوْحُ نَغْدُو فِي الْأَمَاكِنِ كُلِّهَا ... وَالْقَلْبُ يَخْفُقُ فِي رُبَى الْآمَالِ

---

(١) الديوان ص ٦٨ .

لَكِنَّنَـــا حَتَّـــى يَحِـــيْنَ لِقَاؤُنَـــا فَأَنَـــا الْأَسِـــيْرُ لِحُـــبِّكُمْ بِخَيَـــالِي

سَـــيَظَلُّ طَـــيْفُكُمُ يُـــدَاعِبُ مُقْلَتِـــي حَتَّـــى يَـــزُوْلَ الْحَظْـــرُ بِـــالتَّجْوَالِ

في هذه القصيدة الخيالية التي نسج الشاعر خيوطها الغزلية في منامه الحالم وأجرها علي طريقة الحوار بينه وبين محبوبته ، التي راحت تشكو له لهيب الغرام ونار البعاد والحرمان التي أوقدها حظر الوباء ، وهو يعلل لها ابتعاده عنها بقانون الحظر الذي يمنع اللقاء والوصال ، وبخوفه وحرصه عليها من الإصابة بعدوي هذا الوباء ، وهو مع ذلك يطمئنها بتمسكه وبقائه علي حبها ، والهيام بها برغم الحظر والمنع ، مذكرًا إياها بأن هذا البعاد والفراق الحالي هو قدر الله وأمره فيهما ، وكذلك بالأمل والثقة في وعد الله الصادق بتفريج الكرب ووصل الحب عما قريب .

وحرص الشاعر في قصيدته علي استدعاء الطبيعة بعناصرها وصورها المبهجة لعلها تخفف بحيويتها ونضارتها من وطأة وقسوة الحياة في ظل هذا الوباء ، نلحظ ذلك في مفردات: (الحمائم ، والزهر ، والغصن ، والبنفسج ، والأقحوان) ، ولا يخفى ما في هذا الاستدعاء لعناصر الطبيعة من بث حالة من الحيوية والطاقة والأمل في نفوس المصابين بألم الوباء، وبحرقة منع الوصل واللقاء بمن يحبون .

وفي مشهد آخر يرسم الشاعر لوحة فنية يعبر فيها عن تحديه للوباء وإصراره الشديد علي تمسكه بحبه وبلقاء محبوبته ، علي الرغم من استشراء الوباء وفرض الحظر الخانق عليهم قائلًا في ذلك : [1]

فِـي (الْحَظْـرِ) كَـانَ لِقَاؤُنَـا لَا شَـــيْءَ يُفْسِـــدُ جَمْعَنَـــا

رَاحَ الْعَـــــذُوْلُ مُهَـــــرْوِلًا لَـــمْ يَـــدْرِ أَنَّـــا هَـــا هُنَـــا

فَتَمَايَلَـــــتْ أَرْوَاحُنَـــــا وَتَشَـــاكَلَتْ مِـــنْ فَرْحِنَـــا

(١) الديوان ص١٠٢.

وَالْوَصْـــلُ يُـــوْمِئُ رَاقِصَـــا وَالسَّـــعْدُ يَـــأْتِي بِالْهَنَـــا

وَالْوَقْـــتُ وَحْـــشٌ كَاسِـــرٌ لَـــمْ يَنْتَظِـــرْ مَـــا بَيْنَنَـــا

قَـــدْ مَـــرَّ لَـــمْ يَأْبَـــهْ بِنَـــا وَبِـــوَخْزِهِ قَـــدْ مَسَّـــنَا

دَقَّـــاتُ سَـــبْعٍ تَرْقُـــبُ (وَالْبُـــوْكْسُ) يَنْظُـــرُ حَوْلَنَـــا

و(كِمَامَـــةٌ) فِـــي وَجْهِنَـــا تُخْفِـــي لَـــوَاعِجَ حُبِّنَـــا

ذَهَـــبَ الْجَمِيْـــعُ وَغَـــادَرُوْا لَـــمْ يَبْـــقَ إِلَّا سِـــرُّنَا

جَـــاءَ (الْمُقَـــدِّمُ) نَحْوَنَـــا هَيَّـــا اذْهَبُـــوْا مِـــنْ هَـــا هُنَـــا

فَعَطَفْـــتُ قُلْـــتُ بِـــرَبِّكُمْ قَـــدْ مَسَّـــنَا مَـــا هَمَّنَـــا

إِنِّـــي مَـــرِيْضٌ مُـــدْنَفٌ وَلِقَاؤُنَـــا مَشْـــفَى لَنَـــا

فَـــدَعُوا الْحَبِيْـــبَ وَشَـــأْنَهُ لَا تَحْظُـــرُوْا قَلْبًـــا دَنَـــا

(كُوْفِيْـــدُ) فِـــي كُـــلِّ الـــدُّنَى لَكِنَّـــــهُ لَـــــمْ يَأْتِنَـــــا

فَالْحُـــبُّ يَقْتُـــلُ (فَيْرَسًـــا) وَالْهَجْـــرُ يَـــأْتِي بِالْعَنَـــا

نري في هذه القصيدة أن الشاعر يعلن عن إصراره وتمسكه بلقاء محبوبته وقت الحظر ، غير مكترث بنظرات ولوم العذول له ، ولا متوجس من دخول وقت الحظر الذي داهمهم سريعا ، مشبها سرعة دخول وقت الحظر عليهم بوحش كاسر داهمهم وطعنهم بوخزه الشديد ، وفي التعبير هنا بلفظة (وخز) تناسب مع طبيعة هذا الوباء الذي هو وخز من الشيطان ، وفيه استدعاء لقول الرسول الكريم – صلي الله عليه وسلم – عن الطاعون والوباء : " إِنما هُوَ وَخْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ " [1] .

(١) لسان العرب مادة " و خ ز " .

ثم يزيد في إصراره وتحديه ويصطدم برجال الأمن الذين جاءوا إليه واستوقفوه وسألوه وطلبوا منه المغادرة ، غير أنه توسل إليهم ورجاهم أن يتركوه مع محبوبته ، بعد أن أخبرهم بأنه مريض وفي لقاء المحبوب شفاء له ، بل ذهب إلي أبعد من ذلك وأخبرهم بأن الحب ولقاء الحبيب هو لقاح وسلاح قاهر وقادر علي سحق هذا الوباء والقضاء عليه . مستخدما في بيان هذا الموقف بإجراءاته الأمنية والصحية المفردات والألفاظ الدالة عليه مثل: (البوكس ، والمقدم ، وكمامة ، وكوفيد) .

وهكذا استطاع الشاعر أن يوقد من هذا الحب المتوهج في قلبه شعلة نارية يحرق بها هذا الوباء ويقضي عليه ، ويصنع منه لقاحًا عاطفيًا يواجه به انتشار الوباء في الحياة .

ولأن المشهد الحياتي واليومي غائم وقاتم ، وأخبار الوباء تبعث في النفوس الهم والشقاء ، راح الشاعر يهرب من هذا الواقع المأساوي المرير ، إلي عالمه الغزلي الهزلي، ويرسم لوحات فنية واقعية معبرة تحيل الوجع والأسى إلي أمل وأفراح فيحاور الشاعر محبوبته مازحًا ومعتذرًا لها عن ابتعاده عنها وقت الوباء والحظر قائلًا :[1]

قَالَـــتْ تُعَـــاتِبُنِي: نَسِـــيْتَ لِقَاءَنَـــا ... قُلْتُ:(الْكُرُوْنَـــا) ذَاكَ أَمْـــرٌ غَمَّنَـــا

يَـا نُـوْرَ عَيْنِـي (فَالْكُرُوْنَـا فَيْـرَسٌ) ... يُعْـدِي الْحَبِيْـبَ وَلَـنْ أُغَـامِرَ مِـنْ هُنَـا

فَـالْقُرْبُ مِنْـكَ الْآنَ صَـعْبٌ أَمْـرُهُ ... فَلْتَعْـذُرِيْنِي إِنْ فَـرَرْتُ لِمَـنْ دَنَـا

أَيْـنَ (الْكُحُـلُّ)؟ وَأَيْـنَ مِنْـكِ (كِمَامَـةٌ)؟ ... هَـلْ هَـذَا شَـكْلٌ لِلْوِصَـالِ مَـعَ الْمُنَـى؟!

إِنِّـــي أَخَافُـــكِ إِنْ عَطَسْـــتِ حَبِيْبَتِـــي ... وَالْبَـــرْدُ مِنْـــكِ مُصِـــيْبَةٌ تَهْـــوِي بِنَـــا

وَالرِّيْـــقُ مِنْـــكِ زُعَـــافُ سُـــمٍّ مُهْلِـــكٍ ... لَا تَحْسِـــبِيْهِ مِـــنَ الْأُمُـــوْرِ الْهَيِّنَـــا

(١) الديوان ص ١٠٧.

كَيْـفَ السَّـبِيْلُ إِلَـى الْوِصَـالِ (بِفَيْـرَسٍ) عَــمَّ الْجَمِيْــعَ وَشُــؤْمُهُ قَــدْ أَوْهَنَــا؟!

فَلْتَسْــمَحِي بِالْبُعْــدِ عَنْــكِ حَبِيْبَتِــي حَتَّــى الْمَصِــيْفِ وَذَاكَ وَعْــدٌ بَيْنَنَــا

فَلَرُبَّمَــا قَــدْ نَلْتَقِــي بِمَصِــيْفِنَا وَتَعُــوْدُ أَيَّــامٌ لَنَــا فِــي عَهْــدِنَا

وَنَــرُوْمُ حُبًّــا خَالِصًــا مِــنْ شَــائِبٍ حِــيْنَ (الْكُرُوْنَــا) تَخْتَفِــي مِــنْ دَرْبِنَــا

لَكِنَّنِــي – عُــذْرًا إِلَيْــكِ مَلَيْكَتِــي سَــأَفِرُّ مِنْــكِ إِذَا الْوَبَــا قَــدْ رَامَنَــا

قَالَــتْ حَبِيْبِــي أَيْــنَ حُبُّــكَ دُلَّنِــي؟! هَــلْ كَــانَ حُبًّــا زَائِفًــا قُــلْ لِــي أَنَــا؟!

أَيْــنَ الْبُكَــاءُ وَأَيْــنَ شِــعْرُكَ وَالْهَــوَى؟! بَــلْ أَيْــنَ طَيْفُــكَ فِــي اللَّيَــالِي ضَــمَّنَا؟!

كَــمْ كُنْــتَ تَــأْتِي رَاكِعًــا عِنْــدَ اللِّقَــا وَتَقُــوْلُ أَنْــتِ الْكَــوْنُ سِــرٌّ أُعْلِنَــا

وَتَقُــوْلُ: أَنْــتِ وَأَنْــتِ أَنْــتِ حَبِيْبَتِــي لَا شَــيْءَ يَعْــدِلُ وَصْــلَنَا فِــي سَــاحَنَا

فَأَجَبْتُهَــا: إِنِّــي أُحِبُّــكِ إِيْ نَعَــمْ لَكِــنَّ نَفْسِــيَ أَغْلَــى مِــنْ كُــلِّ الــدُّنَا

في هذه القصيدة التي عنونها الشاعر بـ (الحب في زمن الكورونا) وفيها يعلل الشاعر مرة أخري لمحبوبته بعد معاتبتها له بنسيان موعدها واجتناب لقائها ، ويخبرها بأن هذا الأمر فوق إرادته ودون رغبته ، بعد أن فرض حظر كورونا سطوته وكلمته علي الجميع ، وألزمهم المنازل وارتداء واستخدام وسائل وأدوات الحماية الصحية ، من الكمامة والكحل والمطهرات ، وتجنب الاقتراب أو المصافحة أو التقبيل ، من أجل السلامة والوقاية من خطر العدوى أو الإصابة بهذا الوباء .

والقصيدة كما نرى جاءت علي طريقة الحوار الذي أجراه الشاعر مع محبوبته ، استخدم فيها الألفاظ والمفردات التي ناسبت إجراءات وأساليب الوقاية وكذلك أعراض هذا الوباء مثل : (الكحل ، والكمامة ، عطست ، البرد ، الريق) ، وكلها كما نرى ألفاظ ومفردات شائعة ومعتادة في حياة الناس إبان تلك الأزمة .

ثم يختتم الشاعر قصيدته بمصارحة محبوبته رغم حبه لها بأنه لن يخاطر بروحه وحياته بوصل أو بلقاء معها قد يعرضه لإصابة بالوباء أو يودي بحياته التي هي عنده أغلي من كل شيىء ، وقد يكون ذلك علي سبيل المزاح معها ، أو علي سبيل الصدق الواقعي الذي فرضه حب النفس والخوف عليها من شدة الوباء .

ومن خلال هذا الرصد يتبين لنا أن شاعرنا " محمد غزاوي " مكثر من شعر الغزل ومجيد فيه إبّان أزمته مع وباء الكورونا ، وذلك لم يكن حبًا في الغزل نفسه بقدر ما كان بالنسبة له سلاحًا نفسيًا ومعنويًا ، اعتمد عليه في معركته الشرسة مع الوباء ، حتى استطاع أن يتغلب عليه ويتعافي منه .

وليست النصوص التي ذكرناها سالَفًا هي كل ما في جعبة الشاعر من غزل أثناء أزمته مع الوباء ، ولكننا اكتفينا بما يفيد الغرض ، ويؤكد علي حضور هذا الغرض وأثره الكبير في شعره وفي أزمته الكورونية .

وليس معني ذلك أن الشاعر طيلة أزمته الصحية مع كورونا كان دائم التغني والتغزل في محبوبته ، هائمًا حالمًا معها في عالمهم الخيالي ، متناسيًا آلام الوباء وأوجاعه الصحية والبدنية ، ولكنه كغيره ممن أصيبوا بهذا الوباء وتجرعوا مرارته وغصّته راح يشكو ويتألم من شدة هذا الألم ، وأضرار هذا الوباء الوخيمة التي لحقت به وبصحته ، وهذا ما سنتعرض له في الصفحات التالية من خلال دراستنا لشعر الشكوي والألم عند الشاعر مع وباء الكورونا .

العنصر الثاني : شعر الشكوى والألم

حينما يتحدث الشاعر عن أوجاع الناس وآلامهم بسبب بلاء أو وباء نزل وأحّل بهم فإننا نسمع ونشعر بصرخات الألم والتوجع من الشاعر تخترق الصدور والضلوع لتسكن بها وتسكّن فيها الألم والآهات ، وذلك لما للشعر من مقدرة عالية ومؤثرة علي نقل أوجاع المصابين وآلامهم في صدق وشعور إنساني نبيل وبليغ ، ولكن حينما يكون الشاعر هو المصاب نفسه ويتحدث عن تجربته الشخصية والواقعية مع الداء والوباء فإننا نحيا معه في تجربته ونعيش أزمته بأنفسنا ، وذلك لما للشاعر من ميزة عن غيره في التعبير عن المشاعر والأحاسيس – لا سيما وإن كانت مشاعر شخصية وواقعية – بأسلوب مؤثر وآسر ، وهذا ما نلحظه في شعر الدكتور " محمد غزاوي " إبّان أزمته ومحنته الصحية مع وباء الكورونا ، حيث انعكست تلك الأزمة علي نفسه الشاعرة بفيض من القصائد والأشعار الوجدانية الحزينة والأليمة ، والتي عبّر من خلالها عن حجم آلامه وآهاته النفسية والبدنية التي سببها له ذلك الوباء القاتل ، بعد أن نای به بعيدًا في معزله الصحي عن موطن الأهل والسكن ، وأراه الموتَ وحشًا كاسرًا قادرًا يتخطف الناس من حوله ، ويرقبه ويحيط به من كل جانب .

وتعانق في شعر الألم والتوجع عند الدكتور " محمد غزاوي " ألمان مبرحان : الألم النفسي المرير الذي أسكنه وباء كورونا في صدره طيلة مدة عزله الصحي التي قاربت الشهر ، تجرّع خلالها الشاعر مرارة الفكر والقلق النفسي الشديد والخوف الدائم من المجهول القريب منه ، والألم العضوي والبدني الموجع الذي لازمه مدة مرضه وإصابته بالوباء ، حتى أنهك جسده الضعيف وكاد أن يسلمه إلي الهلاك لولا أن تداركته رحمه ربه.

فراح الشاعر المصاب يصوّر ما ألمّ ببدنه الضعيف من وجع شديد وألم مبرح جراء الوباء قائلًا : (١)

الْقَلْـــبُ يَخْفُـــقُ وَالْأَوْجَـــاعُ تُرْدِيْنِـــي وَالْهَـــمُّ يَثْقُـــلُ وَالْأَسْـــقَامُ تُـــوْوِيْنِي

وَالْآهُ أُطْلِقُهَـــا وَالْعَـــيْنُ دَامِعَـــةٌ وَالـــنَّفْسُ تَصْـــرُخُ رَبَّـــاهُ يُـــدَاوِيْنِي

وَالْجِسْمُ يَحْمِلُ مِنْ ضِيْقٍ وَمِنْ تَعَبٍ حَتَّـــى الْجِبَـــالُ تَـــرَاءَتْ لِـــي وَتَرْثِيْنِـــي

(كُوْفِيْدُ) جَاءَ بِكُلِّ الْخُبْثِ يَنْهَشُنِي وَأَنَـــا الضَّـــعِيْفُ بِـــلَا دِرْعٍ يُقَـــوِّيْنِي

قَدْ جَاءَ يَهْدِمُ كُلَّ الْجِسْمِ فِي صَلَفٍ يَخْطُـــوْ وَيَخْطُـــرُ بِالْأَوْصَـــابِ يَكْـــوِيْنِي

فقد عكس لنا الشاعر في هذه الفقرة حجم الألم والهم الكبير الذي اعتراه من هذا الوباء الأليم ، الذي لم يعد يطيق تحمل وجعه ، بسبب شراسته وصلافته، مع ضعف بدنه ونخور عظامه ، وخوار قواه .

واعتمد الشاعر في رسم تلك الصورة علي مجموعة من الصور البيانية المعبرة ، فجاء بالتشخيص والتجسيم في قوله: (حتى الجبال تراءت لي وترثيني) ليؤكد به علي ثقل حمل ألم وهمَّ هذا الوباء ، الذي لم يرحمه أو يترفق به وبضعفه ، في حين تعاطفت معه وبكته الجبال الصلبة القوية ، وفي اختياره للجبال من بين عناصر الطبيعة ما يوحي بمدى ثقل الهم ، وشدة الألم الذي أبكي عليه الجبال القوية الراسخة .

ثم يزيد في بيان مدي وحشية هذا الوباء فيأتي بالاستعارة في قوله : (كوفيد جاء بكل الخبث ينهشني) ، حيث صور هذا الوباء القاتل بوحش شرس مفترس انقض عليه ينهش جسده المتهالك في غير رحمة أو لين .

(١) الديوان : ص ١١٨ .

ثم زاد في تصوير بشاعة الوباء ووحشيته بالاستعارة المكنية في صيغ المضارع (يهدم ، ويخطو ، ويخطر) التي صورت هذا الوباء القاتل بمخلوق شرس انتزعت منه الرحمة فراح يهدم بنيانه الضعيف ، وجاء تعبيره بالمضاف والمضاف إليه (كل الجسم) ليفيد به استيلاء المرض والوباء عليه ، وتمكنه منه بما لا يدع موضعًا فيه دون ألم أو توجع .

ثم نراه بعد ذلك يصور ويبين الأعراض والآثار الصحية الأليمة التي لحقت به وبجسده المتهالك جرّاء إصابته بهذا الوباء ، فيقول :

هَـذِي حَـرَارَةُ جِسْـمِي فِـيْ ازْدِيَـادِ وَمَـا ... مَـــاءٌ يُخَفِّضُـــهَا بَـــلْ رَاحَ يُفْنِيْنِـــي

وَالْعَظْـمُ مِنِّـــي تَهَـاوَى تَحْـتَ مِطْرَقَـةٍ ... حَتَّـــى تَضَعْضَـــعَ وَالْآلَامُ تَسْـــقِيْنِي

جَـيْشُ السُّـعَالِ تَـرَاهُ فِـي مُنَـازَلَتِي ... يَظَـلُّ يَجْلِـدُ فِـي رَأْسِـي وَيَشْـوِيْنِي

قَـيْءٌ وَإِسْـهَالُ ضَـاعَ الْجِسْـمُ بَيْنَهُمَـا ... رَبَّـاهُ أَدْرِكْ فَـإِنَّ الْـوَخْزَ يُضْـنِيْنِي

مَـا عُـدْتُ أَنْعَـمُ بِـالْأَهْوَاءِ فِـي نَفَسِـي ... حَتَّـى رَأَيْـتُ سَـمَاءَ اللهِ تُرْدِيْنِـي

أَيْـنَ الطَّعَـامُ فَـلَا أَكْـلٌ لِأَقْرَبَـهُ ؟ ... حَتَّـى الـزُّلَالُ غَـدَا سُـمًّا يُعَنِّيْنِـي

وتلك هي الأعراض والآثار التي صاحبت مريض الكورونا ولازمته من بداية إصابته بالوباء ، من ارتفاع في درجة حرارة الجسد ، وتكسير في العظام ، وتواصل للعطاس والسعال ، ثم قيء وإسهال ، وانعدام تام لحاسة الشم والتذوق لأي طيب من مشموم أو طعام أو شراب .

ولم تكن تلك الأعراض التي لازمته بالهينة المعتادة عند الناس قبل ذلك ، وإنما جاءت مع هذا الوباء بشراسة وعنف لم يعهد منها قبل ذلك ، وهذا ما أكّد عليه في قوله (العظم مني تحت مطرقة) وهو كناية عن مدي ما أصابه من وهن وإضعاف وتكسير

للعظام جراء الإصابة بالوباء ، ولا يخفى ما يوحي به التعبير بالفعل (تضعضع) من إظهار مدى الضعف والانكسار الذي أصابه من هذا الوباء .

ثم صوّر وشبه سعاله الدائم المتواصل بالجيش ، الذي أفاد الكثرة والشدة في التأثير السلبي عليه ، ما جعله لا ينعم بشيء مما حوله من هواء أو طعام أو شراب ، حتى غدا كل ذلك مكرهًا في نفسه .

ثم يبلغ الألم النفسي بالشاعر منتهاه حينما يحيط به الأهل والأولاد ببكاء دائم وتوجع قلبي علي ما أصابه دون مقدرة علي القرب منه أو دفع الضرر عنه فيقول باكيًا متوجعًا :

وَالنَّـــوْمُ يَهْـــرُبُ وَالْأَنَّـــاتُ أَسْـــكُبُهَا ... وَالـــزَّوْجُ تَنْظُـــرُ فِـــي خَـــوْفٍ وَتَبْكِيْنِـــي

وَالطِّفْـــلُ يُـــوْمِي بِـــلَا فَهْـــمٍ وَيَسْـــأَلُنِي ... مَـــا لِـــي أَرَاكَ بِكُـــلِّ الـــدَّمْعِ تَحْـــوِيْنِي؟!

(بَابَـــاهُ) مَالَـــكَ؟؛ فَالْأَوْهَـــامُ تَقْتُلُنِـــي ... وَالْبُعْـــدُ مِنِّـــي جَـــزَاءُ الْقُـــرْبِ وَاللَّـــيْنِ!

اِبْعَـــدْ بُنَـــيَّ وَحَـــاذِرْ مِـــنْ مُلَامَسَـــتِي ... يَـــا قُـــرَّةَ الْعَـــيْنِ لَا تَقْـــرَبْ وَتُـــؤْذِيْنِي

أَرُوْمُ حِضْـــنَكَ لَكِـــنْ فِيْـــهِ مَقْتَلَـــةٌ ... إِنِّـــي أُرَجِّيْـــكَ مِـــنْ مَـــوْلَايَ يَـــا عَيْنِـــي

وَيَبْعُـــدُ الطِّفْـــلُ حُزْنًـــا لَا يَعِـــي فَرَقًـــا ... وَأَذْرِفُ الـــدَّمْعَ وَالْأَشْـــوَاقُ تَطْـــوِيْنِي

وَالْكُـــلُّ يَنْظُـــرُ فِـــي هَـــمٍّ وَفِـــي أَرَقٍ ... وَالْعَـــيْنُ مِنِّـــي بِكُـــلِّ اللَّفْـــظِ تَرْوِيْنِـــي

وَالـرُّوْحُ فِـي عُلْوِهَـا تَـدْعُوْ وفِـي وَجَـلٍ ... يَـا رَبِّ جُـدْ بِـالْمُنَى حَسْـبِي وَتَكْفِيْنِـي

فَلَـــيْسَ إِلَّا سِـــوَى رُحْمَـــاكَ أَطْلُبُهَـــا ... فَأَنْـــتَ تَقْـــدِرُ بَـــيْنَ الْكَـــافِ وَالنُّـــوْنِ

يَـــا رَبِّ عَجِّـــلْ وَخَلِّصْـــنِي مِـــنَ الْأَلَـــمِ ... إِيَّـــاكَ أَرْجُـــوْ فَهَـــذَا دَيْـــدَنِي دِيْنِـــي

فَمُـــنَّ لِـــي بِالشِّـــفَا فَالسُّـــقْمُ يَسْـــحَقُنِي ... وَالـــنَّفْسُ غَافِيَـــةٌ وَالـــذَّنْبُ يُشْـــقِيْنِي

ولا يخفى علينا ما تحمله تلك الأبيات من حرقة ولوعة وألم يقطع نياط القلب ويدمع العين ، علي هذا الموقف الإنساني العصيب الذي حيل فيه بين الشاعر المصاب أن يقرب من أعز وأحب الناس إليه ، أو أن يقبِّل طفله الصغير ، الذي لم يع بعد ولم يحط بالموقف فهمًا أو بيانًا ، وذلك خوفًا عليهم من عدوي الإصابة بالوباء الذي لا يرحم صغيرًا أو كبيرًا .

واحتشدت في هذه الفقرة جملة من الأساليب الفنية والبيانية التي أسهمت في تصوير المشهد تصويرًا فنيًا بارعًا ، نابضًا بالحركة والحياة ، نلحظ ذلك في التشخيص في قوله : (النوم يهرب) حيث صور النوم بمطلوب عزيز يفرّ ويهرب منه وقت الحاجة إليه، ثم التعبير بالأساليب الإنشائية التي ظهرت في النداء والاستفهام في قوله (باباه مالك ؟) الذي أظهر مدي الشفقة والحب للصغير الحبيب، وحيرته وجهله بما أصاب والده ، ثم الأمر والنهي في قوله: (ابعد بنما ، ولا تقرب) الذي دلّ علي المفارقة الكبيرة بين رغبة الوالد الطبعية في القرب من ابنه وطلبه الغريب في ابتعاده عنه حرصًا وخوفًا عليه ، وهو ما أكدّه الطباق بين (البعد والقرب) ، ثم جاء النداء في قوله (يا قرّة العين) الذي زاد من وجع الشاعر وشفقته علي ولده الصغير ، وجاء التعبير بالمضارع (وتؤذيني) الذي أفاد به أن في أذى طفله إيذاءً له ، وزيادة في الوجع علي وجعه ، قد يطول ويستمر معه.

وعلي الرغم من كل تلك المعاناة والوجع فإن الشاعر مؤمن بقضاء ربه فيه ، مطمئن قلبه بالإيمان ، فيطمع في رحمة ربه ويرجو لطفه ، ويفرُّ إليه داعيًا ومتضرعًا أن يخفف عنه ، ويمنَّ عليه بالشفاء والعافية .

ونراه في موطن آخر يتألم ويتوجع من شدة الألم والهمّ الذي أصابه من هذا الوباء قائلا : [1]

(١) الديوان ص ١١٨ .

قَـدْ ضِـقْتُ ذَرْعًـا وَرَاحَ الْهَـمُّ يَقْتُلُنِـي ... قَـدْ مَسَّـنِي الضُّـرُّ وَالْأَوْصَـابُ تَعْصِـرُنِي

جَـاءَ (الكُوْفِيْـدُ) فَـلَا أَهْـلًا بِـهِ أَبَـدًا ... يَحُـوْمُ فِـي قَتْلِنَـا والْيَـأْسُ يَصْـرَعُنِي

فيَـا إِلَهِـي تَعَـالَى أَنْـتَ ذُوْ مِـنَنٍ ... فَفُـكَّ ذَا كُرْبَـةٍ فَـالْحُزْنُ يَخْنِقُنِـي

وَأْذَنْ بِتَفْـرِيْجِ كُـلِّ الْكَـرْبِ يَـا صَـمَدُ ... فَلَـيْسَ إِلَّا سِـوَى نَجْـوَاكَ يَرْحَمُنِـي

يعلن الشاعر في هذه الفقرة عن تبرمه وضجره من هذا الوباء الوخيم ، الذي لم يعد يطيقه أو يتحمل ألمه ، ويظهر في قوله (قد مسني الضر) التناص مع قول الله تعالي : " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " [١] .

ثم يدعو ربه ويتضرع إليه بفك الكرب وتفريج الهمِّ عنه .

وتظهر الاستعارة جلية في التعبير بالمضارع (يحوم) ، حيث صور الوباء في وحشيته وشراسته بطائر جارح ، يدور حول فرائسه من البشر ، ينهش ويلتهم أجسادهم في وحشية وشراسة ، ثم يسلمهم إلي الردى والهلاك .

ومن بديع وطريف شعر الشكوي والبكاء عند الدكتور " محمد غزاوي " تلكم القصيدة البارعة التي تحدث فيها علي لسان ملابسه المهجورة ، وهي تبكي وتشكو له هجرانه لها، وتركها مدة طويلة دون ارتداء لها ، وهي حبيسة الأدراج والدواليب ، يقول فيها : [٢]

بَكَـتِ الْمَلَابِـسُ وَالـدُّمُوْعُ تَرَقْـرَقُ ... وَالثَّـوْبُ يَجْهَـشُ وَالْمَـدَامِعُ تُغْـدِقُ

وَتَقُـوْلُ هَـلْ خَاصَـمْتَنِيْ (أَمُحَمَّـدُ)؟! ... وَالصَّـدْرُ ضَـاقَ وَبِالْمَآسِـي يَنْطِـقُ

فَـالْهَجْرُ مِنْـكِ عَصِـيَّةٌ أَيَّامُـهُ ... وَالْقَلْـبُ مِنِّـي خَـافِقٌ يَتَحَـرَّقُ

لَا زِلْـتُ أَذْكُـرُ كَيْـفَ كَـانَ لِقَاؤُنَـا ... فِـيْ كُـلِّ يَـوْمٍ وَالسَّـعَادَةُ تُشْـرِقُ

(١) الآية رقم ٨٣ سورة الأنبياء.

(٢) الديوان ص٥٨ .

وَالْحُــزْنُ قَــدْ عَــمَّ الْخِزَانَــةَ كُلَّهَــا ... وَبِكُــــلِّ آهٍ تَسْــــتَفِيْضُ وَتُطْلِــــقُ

بِـاللهِ قُـلْ لِـي مَـا السَّـبِيْلُ إِلَـى اللِّقَـا ؟! ... قَــدْ كِــدْتُ أَبْلَــى وَالْجَدِيْــدُ يُمَــزَّقُ!

مَــا لِــي أَرَاكَ وَقَــدْ زَهِــدْتَ مَلَابِسًــا ؟! ... هَــلْ عَــمَّ خَطْــبٌ وَالْحَــوَادِثُ تَمْــرُقُ؟!

فَشُــهُوْرُ قَــدْ مَــرَّتْ بِــلَا لَهْــوٍ هُنَــا ... وَالْهَــمُّ يَقْطَــعُ وَحْــدَتِي وَيُطَــوِّقُ

وَأَقُــوْلُ قَــدْ يَــأْتِيْ وَيُــوْنِسُ وَحْشَــتِي ... فَــأُزِيْنُ مِنْــهُ الْجِسْــمَ أَوْ يَتَــأَلَّقُ

أَزْهُــوْ وَأَخْــرُجُ لِلْفَضَــاءِ فَأَنْتَشِــي ... قَــدْ كِــدْتُ أَهْلَــكُ مِــنْ قُيُــوْدِي أُخْنَــقُ

نَحْــنُ الْمَلَابِــسَ لَا نَــرُوْمُ خِزَانَــةً ... بَــلْ صَــاحِبًا فِــي كُــلِّ يَــوْمٍ يُوْنِــقُ

ثُــمَّ اسْــتَدَارَتْ وَالــدُّمُوْعُ مَرَاجِــلٌ ... حَتَّــى سَــمِعْتُ وَجِيْبَهَــا يَتَــأَرَّقُ

يَــا صَــاحِبِي أَنْقِــذْنِي مِــنْ هَــذِي الــدُّنَى ... فَأَنَــا السَّــجِيْنَةُ وَالْخِزَانَــةُ تُغْلَــقُ

إِنِّــي أَرُوْمُ الْعَــيْشَ عَبْــرَ الرَّحْــبِ مِــنْ ... كُــلِّ الْفَضَــاءِ وَكُــلِّ دَرْبٍ يَسْــبِقُ

فَــاخْرُجْ وَخُــذْ مَــا شِــئْتَ مِنِّــيَ إِنَّنِــي ... طَــوْعٌ لِــذَوْقِكَ وَالْخِيَــارُ تُنَمِّــقُ

فَبَكَيْــتُ لَمَّــا أَنْ سَــمِعْتُ كَلَامَهَــا ... وَوَضَــعْتُ كَفِّــي بِالْخِزَانَــةِ أُشْــفِقُ

وَأَجَبْــتُ: إِنِّــيَ مِــثْلُكُمْ أَرْجُــوْ الْفَضَــا ... لَكِــنَّ (كُوْفِيْــدًا) بِحَظْــرٍ يُرْهِــقُ

فَغَــدًا سَــيَأْذَنُ رَبُّنَــا مِــنْ عِنْــدِهِ ... وَيَــزُوْلُ دَاءٌ وَالسَّــمَاءُ تَرَقْــرَقُ

فَرَأَيْتُهَــا تُبْــدِي ارْتِيَاحًــا تَنْتَشِــي ... وَتَقُــوْلُ إِنِّــي فِــي انْتِظَــارِكَ أُوْرِقُ

وَيَحِــلُّ غَيْــثٌ بَعْــدَ جَــدْبٍ قِفَارِنَــا ... وَالْحُلْــمُ يَبْــرُقُ والشُّــمُوْسُ سَتُشْــرِقُ

القصيدة كما تبدو لنا قطعة أدبية راقية ، طريفة وبديعة ، تحسب للشاعر من ابتكاراته وأفكاره الشعرية والفنية المتجددة والمتطورة ، حيث لم يعهد عن شاعر من ذي

قبل – حسب علمي وقراءتي – أن تحدث في شعره عن الملابس بحال الشكوى والحنين إلي أصحابها ، الأمر الذي يعكس مدي عبقرية شاعرنا المجيد ، وتميزه عن غيره في رغبته في طرق الجديد والطريف من المعاني والأفكار المستحدثة .

وصاغ الشاعر " محمد غزاوي " قصيدته البديعة هذه علي طريقة الحوار الفني الماتع ، النابض بالحس والحركة بينه وبين ملابسه الباكية الشاكية ، وذلك بعد أن أضفي عليها ثوب التشخيص الفني البليغ ، الذي أحالها إلي شخص حزين متبرم ، يشكو ويبكي مرارة الهجر والبعاد ، ويحنُّ إلي معانقة جسد صاحبه ، والتفافه وتدثره بها ، وإنقاذه من وحشة الدولاب وغربته .

ومن المعاني المبتكرة الطريفة في هذه القصيدة أن الشاعر بيّن من خلالها سعادة الملابس وفرحتها الغامرة حينما يتدثر ويلتف بها صاحبها ، سعادة وغبطة ربما تفوق سعادة وغبطة الإنسان نفسه عند ارتدائه ثوبًا جديدًا جميلًا .

وأشار الشاعر في قصيدته إلي طول مدة الحظر إبّان ذروة الوباء وشدته ، والتي حيل بينه فيها وبين ارتداء الملابس للخروج والتنزه خارج المنزل ، وذلك في قوله :

فَشُهُوْرُ قَدْ مَرَّتْ بِلَا لَهْوٍ هُنَا وَالْهَمُّ يَقْطَعُ وَحْدَتِي وَيُطَوِّقُ

وأشار كذلك إلي أن الملابس هي الأخري قد تأذّت وتألمت كثيرًا جرّاء هذا الوباء والحظر الذي حرمها من متعتها ورغبتها وهي تغطي أجساد الناس وهي سعيدة منتشية ويظهر هذا التأثر السلبي والأذى الذي لحقها في قوله . علي لسان الملابس وهي تصرخ وتستجير بصاحبها . :

يَا صَاحِبِي أَنْقِذْنِي مِنْ هَذِي الدُّنَى فَأَنَا السَّجِيْنَةُ وَالْخِزَانَةُ تُغْلَقُ

إِنِّي أَرُوْمُ الْعَيْشَ عَبْرَ الرَّحْبِ مِنْ كُلِّ الْفَضَاءِ وَكُلِّ دَرْبٍ يَسْبِقُ

فَاخْرُجْ وَخُذْ مَا شِئْتَ مِنِّيَ إِنَّنِي طَوْعٌ لِذَوْقِكَ وَالْخِيَارُ تُنَمِّقُ

مؤكدًا بهذه المعاني الطريفة المبتكرة علي عموم وشمول آثار وباء كورونا الذي عمّ وطمّ علي الجميع بلا استثناء ، بعد أن تخطت آثاره وأضراره حدود الإنسان والمكان ، فلم يسلم من شره وضرره إنسان أو حيوان أو جماد .

وبرع الشاعر في تصوير لهفة الملابس وشوقها لصاحبها ، وترقبها ساعة أن يخرج بها من محبسها إلي عالم الحرية والانطلاق ، وذلك في قوله :

وَأَقُـوْلُ قَـدْ يَـأْتِيْ وَيُـوْنِسُ وَحْشَـتِي فَـأُزِيْنُ مِنْـهُ الْجِسْـمَ أَوْ يَتَـأَلَّقُ

أَزْهُـوْ وَأَخْـرُجُ لِلْفَضَـاءِ فَأَنْتَشِـي قَـدْ كِـدْتُ أَهْلَـكُ مِـنْ قُيُـوْدِي أُخْنَـقُ

فنلحظ براعة ودقة هذه اللوحة الفنية المعبرة ، ومما ساعد في اتقانها وجمالها الطباق البديعي بين (يؤنس ، ووحشتي) الذي أظهر مدى معاناة الملابس في محبسها الدولابي ، وتوقها إلي الحرية والانطلاق والأنس بصاحبها خارج المنزل منتشية سعيدة .

ثم جاء التعبير بصيغ المضارع (أزهو ، وأخرج ، وأنتشي) والتي أظهرت مدى فرحة الملابس وسعادتها الغامرة حينما تلامس جسد صاحبها وتزينه وتتزين هي الأخري به .

ثم يختم الشاعر قصيدته بمصارحة الملابس ومكاشفتها ببؤسه وحزنه هو الآخر ، وحرمانه من حرية الانطلاق وبهجة الحياة ، وأنه مثلها حبيس المنزل ورهن الإقامة الجبرية به ، بسبب هذا الوباء الذي حلّ به ، والحظر الذي أطبق علي أنفاسه وضيّق صدره ، ثم يطمئنها ويبث فيها بشائر الأمل في غد قريب مشرق باسم ، يتنسم فيه معها عبير الحرية وفرحة الخروج والانطلاق خارج المنزل ، كعادته في ختام كل قصائده التي يشكو ويتوجع فيها ، ثم يذيلها بخاتمة حسنة من التضرع والدعاء ، والتمسك بالأمل في الشفاء والفرج القريب من الله تعالي .

العنصر الثالث : شعر الحنين

مما لا شك فيه أن وباء الكورونا قد تسبب في حرمان البشر من الكثير من متع الحياة وزينتها، ومظاهرها وطقوسها التي كانوا قد اعتادوا عليها وألفوها ، فلم يعد في مقدور الناس التريض أو التنزه بحرية وطلاقة ، ولا التزاور أو التلاقي كما كان الحال قبل كورونا ، وبلغ الحرمان مداه مع كورونا حينما أغلقت المساجد ودور العبادة ، فأخذت نفوس الناس تتوق إلي روحانية المسجد ، واستنشاق عبيره ونفحاته الإيمانية ، وصار البعض يختلسون لحظات الخروج والتنزه علي استحياء ، بعيدًا عن أعين رجال الأمن الراصدة لهم في كل مكان .

ولطبيعة نفس شاعرنا المرهفة التي تأبى الحبس أو المكث في مكان واحد ، حيث طبيعة الشعراء الفطرية المحبة للتنقل والتجوال هنا وهناك ، بحثًا عن مظاهر الجمال ومواطن الإلهام في الكون ، ولطبيعة عمله الأكاديمي الذي يفرض عليه اللقاء بطلابه ومحبيه ، تأذى شاعرنا كثيرًا من هذا الوضع الاستثنائى الصعب الذي فرضه حظر الوباء، فحرمه من لقاء من يحب أو فعل ما يحب ، فراح في شعره يبث حنينه وأنينه إلي ذكريات وأحداث الماضي القريب الذي كان ينعم فيه بالحرية والانطلاق دون حد أو قيد ، وبالوصال والسهر والسمر مع الأحبة والأصدقاء أنّي شاء وكيفما شاء . وبالذهاب إلي المساجد للصلاة ليل نهار ، ينعم فيها بعبير الإيمان وروحانية المكان ، حتى تغير الحال وتبدلت الأمور .

فراح الشاعر يحن إلي هذا الماضي القريب ، ويشكو من حاضره الغريب ، الذي أقعده البيت ، وألزمه المكث فيه ليل نهار ، حتي صار البيت له كالسجن الموحش الذي بات يأمل الخلاص والفرار منه ، ويقول في ذلك مازجًا : [1]

(١) الديوان: ص ٧٠ .

أَنَـــا لَا أُرِيْـــدُ الْمَنْـــزِلَا ... فَالْبَيْـــتُ سِـــجْنٌ أُنْـــزِلَا

هَـــمٌّ وَتَنْغِـــيْصٌ بَـــدَا ... وَالْعَقْـــلُ مِنِّـــي قَـــدْ سَـــلَا

فَالطِّفْـــلُ يَصْـــرُخُ بَاكِيًـــا ... وَأَخُـــوْهُ رَاحَ مُوْلَـــوِلَا

أَبَتَـــاهُ أُمْكُـــثْ جَـــانِبِي ... ذَاكِـــرْ دُرُوْسِـــي أَوَّلَا

مَـــا عَـــادَ ثَـــمَّ مَـــدَارِسٌ ... وَالْعِلْـــمُ حِمْـــلٌ أُثْقِـــلَا

وَالْبِنْـــتُ تَشْـــكُوْ أُخْتَهَـــا ... وَالْأُخْـــتُ تُفْسِـــدُ مَغْـــزِلَا

وَالْكُـــلُّ يَضْـــرِبُ بَعْضَـــهُ ... وَالْبَيْـــتُ أَضْـــحَى مِـــرْجَلَا

أُمُّ الْعِيَـــالِ تَرُوْمُنِـــي ... أَكْـــوِي الْقَمِـــيْصَ وَسَـــرْبَلَا

وَأَرُوْحُ أَكْـــنُسُ غُرْفَتِـــي ... والظَّهْـــرُ لَـــنْ يَـــتَحَمَّلَا

فَـــأَقُوْلُ إِنِّـــي شَـــاعِرٌ ... وَالْوَجْـــهُ قَـــدْ يَـــتَهَلَّلَا

قَـــدْ رُمْـــتُ كُـــلَّ قَصِـــيْدَةٍ ... قَـــدْ فُقْـــتُ شَـــوْقِي جِـــرْوَلَا

هَيَّـــا اتْرُكِيْنِـــي فِـــي الْخَـــلَا ... أَبْغِـــي الْخَيَـــالَ مَـــعَ الْعُـــلَا

فَأَنَـــا الْأَدِيْـــبُ الْمِصْـــقَعُ ... فَتَقُـــوْلُ اُسْـــكُتْ قُلْـــتُ لَا

فَتُعِيْـــدُ كُـــلَّ أَوَامِـــرٍ ... وَالصَّـــوْتَ مِنْهَـــا قَـــدْ عَـــلَا

فَـــأَعُوْد أَصْـــمُتُ طَارِقًـــا ... فَـــالْعَيْشُ قَـــدْ تَبَـــدَّلَا

وَصُـــدَاعُ رَأْسِـــي قَـــاتِلِي ... وَلِسَـــانُ حَـــالِي حَـــوْقَلَا

(كُوْفِيْـــدُ) وَيْحَـــكَ إِنَّنِـــي ... أَهْـــوَى حَيَـــاتِي فِـــي الْخَـــلَا

يَـــا رَبِّ عَجِّـــلْ بِالشِّـــفَا ... حَتَّـــى أَعُـــوْدَ مُهَلِّـــلَا

أَغْــــــدُوْ أَرُوْحُ مُنَادِمًـــــــا كُـــلَّ الصِّـــحَابِ مَـــعَ الْأُلَـــى

سُــــــحْقًا لِكُـــــلِّ مُصِــــيْبَةٍ تَــــــدَعُ الرِّجَــــــالَ مَنَـــــازِلَا

في هذه القصيدة الماتعة المازحة يعلن الشاعر عن مدي تضجره وتبرمه من حبسة المنزل وجوه الرتيب الكئيب إبان فترة الحظر ، حيث شبهه بالسجن ، ولزومه به إجباريًا في أوقات الحظر الكوروني ، ورغبته وحنينه الجارف إلي الخروج من المنزل ومعاودة حياته بشكلها الطبيعي كما كانت قبل وباء كورونا .

وتضج القصيدة بالعديد من مظاهر وصور الحياة العائلية اليومية داخل المنزل بين أفراد الأسرة الواحدة من شجار بين الأولاد ، وممارسة الأعمال والمهام المنزلية الرتيبة من مذاكرة الأولاد ،والغسيل ، والطبيخ ، وما شابه ذلك .

مستخدما فيها المفردات والعبارات التي تدل علي ذلك المعني مثل: (أكوي القميص، أكنس غرفتي ، البيت ، أم العيال ، البنت تضرب أختها ، الطفل يبكي)

والقصيدة في مجملها قطعة فنية معبرة عن رفض الشاعر لحبسه ولزومه المنزل صيغت بأسلوب أدبي يتميز بالفكاهة والمرح ، وجاءت مقيسًا وترويحًا عن نفس الشاعر المصابة والمتوجعة ،في ظل تلك الظروف الاستثنائية الحرجة .

وكان قرار إغلاق المساجد ودور العبادة الذي اتخذته الحكومة حرصًا علي حياة الناس وصحتهم من الاختلاط والتزاحم كان من أشد الأمور تأثيرًا وتكديرًا في نفوس ، الذين كانوا يفرون من مصاعب الحياة وشدة الواقع إلي أنوار بيوت الله في الأرض ، يرتشفون منها رحيق الإيمان وحلاوة القرآن ، ويتنعمون بروحانية الوقوف بين يدي الله تعالى في بيوته الشريفة للتضرع والدعاء والصلاة .

فنري شاعرنا " محمد غزاوي " يبوح في شعره بنفثات وعبرات وجدانية حانية وباكية، تقطر منها دموع الحنين وأنات الشوق إلي المسجد قائلًا : (١)

حَنَنْتُ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَالْمُصَلَّى ... وَصَوْتِ مُؤَذِّنٍ عَذْبٍ تَدَلَّى

يُنَادِي حَيَّ أَقْبِلْ لِلْفَلَاحِ ... فَإِنَّ اللهَ مَوْلَانَا تَجَلَّى

يُرَفْرِفُ فِي السَّمَاءِ بِكُلِّ وَادٍ ... وَيَطْوِي الْأَرْضَ خَفَّاقًا تَحَلَّى

أَلَا فَانْفُضْ غُبَارَ الذَّنْبِ هَيَّا ... وَنَقِّ الْقَلْبَ مِنْ حِقْدٍ تَوَلَّى

مَعَانِي الصِّدْقِ تَنْفُذُ فِي الصُّدُوْرِ ... فَتَحْيَا الرُّوْحُ فِي أَلَقٍ أَهَلَّا

وَتَخْضَعُ كُلُّ أَرْكَانِي وَنَفْسِي ... تَرُوْمُ هِدَايَةً وَالطُّهْرُ حَلَّا

فَيَبْعُدُ كُلُّ شَيْطَانٍ رَجِيْمٍ ... وَأَصْرُخُ عَالِيًا وَأَقُوْلُ كُلَّا

فَيَا رَبَّاهُ قَدْ جِئْنَاكَ نَهْفُوْ ... نَجُرُّ الذَّنْبَ إِثْرَ الذَّنْبِ حِمْلَا

فَفَرِّجْ هَمَّنَا مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ ... رَأَيْنَا الْكَرْبَ طُوْفَانًا وَنُزْلَا

فَلَيْسَ سِوَاكَ نَدْعُوْ فِي صَلَاةٍ ... وَلَيْسَ سِوَى حِمَاكَ نَرُوْمُ فَضْلَا

صور الشاعر في هذه القصيدة البارعة حنينه الجارف والصادق للذهاب إلي المساجد والصلاة بها ، وشوقه العارم لسماع صوت المؤذن الندي وهو يرفع ندائه للصلاة ، والقدوم إلي المساجد للصلاة والعبادة بها ، حيث صفاء النفس ، وطمأنينة القلب، وسمو الروح ، بعد أن انزاح عنها غبار الذنوب ، وحقد القلوب ، وتنفست الأرواح في المسجد نسائم الصدق وعبق الإيمان ، وتحررت من أغلال الشياطين ، وهموم المعايش ومصاعب الحياة .

(١) الديوان ص ٧٢.

وأجاد في هذه القصيدة تصوير مشاعره وحنينه إلي المساجد ، ونلحظ الدقة في اختيار الشاعر لصيغة الجمع (المساجد) دون المفرد وفي ذلك إشارة إلي أن أي مسجد وإن نأى عن المسلم فهو مسجد له ، وفي ذلك دلالة علي عموم المساجد للمسلمين كافة في شتي البقاع . وفي إشارته إلي عذوبة وحلاوة صوت المؤذن الذي يأسر القلوب والأسماع إيحاء بأهمية اختيار أندى الأصوت وأعذبها للقيام بتلك المهمة الجليلة وهي الأذان للصلاة ، فالأذان عنوان للصلاة ، فرب مؤذن يرغب في الصلاة وآخر ينفّر منها وهذا ما حث عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – في اختيار المؤذنين ، وذلك في الرؤيا التي رآها " عبد الله بن زيد " – رضي الله عنه – في شأن صيغة الأذان وأخبرها للنبي صلي الله عليه وسلم فقال له رسول الله : « إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ ". (١)

وأكد الشاعر علي شمول وعموم هذا الآذان العذب الرقيق الكون كله بالطباق بين (السماء ، والأرض) الذي دلّ به علي ديمومة ذكر الله في الكون ، وذلك بالآذان الذي يرفع ولا ينقطع أو يتوقف ليل نهار .

ثم يختتم قصيدته بالدعاء والتضرع لله عز وجل أن يكشف هذا الوباء ، ويعيد المسلمين إلي مساجدهم ورياضهم الإيمانية النضرة .

وراح شاعرنا " محمد غزاوي " وهو رهين المحبسين (الإصابة والحظر) بعد أن أحاطت به الهموم والآلام يتذكر أيام التلاقي والمودة مع الأصدقاء والرفاق ، ويحن إلي تلك الذكريات والأيام الخوالي معهم قائلًا : (٢)

(١) السنن الصغير للبيهقي أبو بكر البيهقي المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م . ١١٦١١

(٢) الديوان ص ١٢٠ . م

أَتُــوْقُ إِلَــى صَــدِيْقٍ غَــابَ عَنِّــي ... وَأَشْــــقَى بِـــــالْحَنِيْنِ وَبِـــــالتَّمَنِّي

أَتُــوْقُ إِلَيْــهِ يَمْسَــحُ كُــلَّ حُزْنِــي ... وَيَرْبِـــــتُ بِالْأَمَـــــانِ وَلَا يَكِلُنِـــــي

وَيَصْــــفَحُ إِنْ أَسَــــأْتُ إِلَيْــــهِ يَوْمًــــا ... وَيَرْتُــــقُ مَــــا فَتَقْــــتُ بِحُسْــــنِ ظَــــنِّ

وَيَعْــــزِفُ لَحْــــنَ أَيَّــــامِي سُــــرُوْرًا ... فَيَنْفِــــي الْهَــــمَّ يَــــأْتِيْنِي بِلَحْــــنِ

وَيُــــؤْنِسُ وَحْشَــــتِي وَيُــــذِيْبُ قَرْحِــــي ... فَــــأَطْرُدُ كُــــلَّ آهٍ لَازَمَتْنِــــي

وَسِــــرِّي عِنْــــدَهُ جَهْــــرٌ تَجَلَّــــى ... وَلَا أَخْشَــــاهُ مِــــنْ إِنْــــسٍ وَجِــــنِّ

يُنَــــاغِمُنِي وَيَعْفُــــو عَــــنْ ذُنُــــوْبِي ... وَيُــــدْرِكُ أَنَّ ذَنْبِــــي لَــــيْسَ مِنِّــــي

وَأَدْعُــــو اللهَ أَنْ يَــــدْنُو لِقُرْبِــــي ... فَــــإِنِّي قَــــدْ سَــــئِمْتُ وَلَا أُكَنِّــــي

هُمُــــوْمِي قَــــدْ تَــــوَاتَرَ رَائِــــدُوْهَا ... وَكُــــلُّ حَــــوَادِثٍ أَضْــــحَتْ بِــــدَنِّي

حَــــدِيْثُ الشَّــــهْدِ أَسْــــمَعُهُ بِفِيْــــهِ ... فَيَــــدْخُلُ فِــــي الْقُلُــــوْبِ بِغَيْــــرِ إِذْنِ

وَلَــــيْسَ يَــــرُوْمُ مِنِّــــي أَيَّ شَــــيْءٍ ... سِــــوَى وُدٍّ يَــــدُوْمُ فَكَيْــــفَ عَنِّــــي؟!

إِذَا يَــــوْمٌ صَــــرَخْتُ أَرَاهُ حَبْــــوًا ... فَيَنْقِــــذُ صَــــرْخَتِي وَبِغَيْــــرِ جُــــبْنِ

إِذَا أَحْسَسْــــتُ تَغْيِيْــــرًا تَبَــــدَّى ... رَكَضْــتُ إِلَيْــهِ أَسْــأَلُ مَــا التَّجَنِّــي؟!

أَقُــــوْلُ مُكَــــرِّرًا: تَفْــــدِيْكَ رُوْحِــــي! ... أَجِبْنِــــي مَــــا الَّــــذِي بُلِّغْــــتَ عَنِّــــي؟!

فَأَسْــــمَعُ مِنْــــهُ لَا شَــــيْءٌ حَبِيْبِــــي ... فَأَنْــــتَ النُّــــوْرُ مِــــنْ عَيْنِــــي وَجَفْنِــــي

فَــــأَرْقُصُ لَا أُبَــــالِي فِــــي اللَّيَــــالِي ... وَأَنْسَــــى كُــــلَّ نَازِلَــــةٍ وَحُــــزْنِ

فَنَمْحُــــوْ كُــــلَّ آثَــــارٍ لِــــذَنْبٍ ... وَذَنْــــبُ الْعَاشِــــقِيْنَ هُــــوَ التَّمَنِّــــي

نُحَلِّـــقُ عَالِيًـــا وَالْـــوِدُّ يَحْيَـــا وَنَهْتِـــفُ لِلْحَنِـــيْنِ بِكُـــلِّ غُصْـــنِ

فَيَـــا رُوْحِـــي فِـــدَاكَ الـــنَّفْسُ هَيَّـــا كَفَـــانِي ذَا الشَّـــقَاءُ فَـــلَا تَزِدْنِـــي

فَيَهْتِـــفُ أَنْـــتَ غَايَـــةُ كُـــلِّ حُـــبٍّ يَـــرُدُّ الْقَلْـــبُ إِنِّـــي كَـــذَاكَ إِنِّـــي

تؤكد لنا هذه القصيدة الوجدانية المعبرة علي مدي قيمة وأثر الصداقة المخلصة والمحبة الصادقة بين الناس ، فالحاجة إلي الصديق الوفي الصدوق وقت الهم والضيق كحاجة الغريق إلي من يأخذ بيديه وسط يمٍّ متلاطم سحيق .

وما أحوج المرء حينما تمرُّ به أزمة أو تعصف به شدة إلي صديق وفي حميم ، يبثه شكايته وآلامه ، ويشاركه أزمته وأحزانه ، ففي تلك المشاركة الصادقة تخفيف للهم وتطييب للنفس ، وعون للمرء علي تحمل الخطب وتخطيه مهما كان حجمه وأثره .

ونظرًا للظروف العصيبة التي مرّ بها الشاعر من الإصابة بالوباء ، ثم العزل والحظر الذي زاد من الهم والألم ، راح الشاعر يحنّ إلي صديقه الوفي الذي حال بين وده وزيارته له أثناء تلك الأزمة هذا الوباء القاتل وما صاحبه من حظر ومنع للتزاور أو التلاقي بين الناس ، حيث انشغل الجميع بنفسه وأهله ، وبات الكل يخشى علي حياته وبيته من الإصابة والعدوى ، فلم يستطع صديق أن يطرق باب صديقه ، ولا حبيب أن يقرب من حبيبه .

فلم يجد الشاعر مفزعًا ولا مهربًا من تلك الحالة النفسية والمعنوية المتردية غير ساحة الشعر الرحيب ، وصوته الوجداني الرقيق ، فراح يعلن في حنين جارف وشوق عارم عن حاجته ورغبته إلي ود ووصال هذا الصديق الوفي ، بعد أن حال بينهما الوباء بوحشيته وحظره المقيت .

وهو في هذه القصيدة يبرز مزايا الصديق المخلص ، والخل الوفي في عدة صور ومظاهر من صور ومظاهر الصداقة والخلة الصحيحة الصادقة ، وذلك من خلال عدة صور متقابلة أظهرها الطباق البديعي بين (يصفح ، وأسأت) الذي أكد به علي مدي

سعة صدر الصديق وتجاوزه عن زلات وهفوات صديقه ، وبين (يرتق ، وفتقت) الذي أكد به مدي إكمال الصديق لصديقه ، وإتمامه وجبره لنقصه وعيبه ، وكذلك الطباق بين (السرور ، والهم) مؤكدًا به علي دور الصديق علي تغيير واقع صديقه وظروفه من حال إلي حال وحياة لحياة أخري .

وطابق كذلك بين (يؤنس ، ووحشتي) مؤكدًا به علي مدي قوة الحميمية والدفء بين الأصدقاء ،التي تحيل الوحشة والغربة إلي أنس ومودة .

والطباق بين (سري ، وجهري) وبين (أنس ، وجنّ) الذي أظهر مدى الثقة والاطمئنان بين الأصدقاء المخلصين التي تمدّ ماء الصداقة بالقوة والشجاعة لمواجهة مصاعب الحياة ومكائد الآخرين .

الفصل الثاني

أحداث ومظاهر المجتمع إبّان أزمة وباء كورونا

في شعر الدكتور محمد غزاوي

علي الرغم من تعرض شاعرنا " محمد غزاوي " لإصابة مباشرة وحادة بوباء الكورونا ، وأثر الإصابة بهذا الوباء بأضراره وأخطاره النفسية والبدنية المريرة والخطيرة علي الشاعر، الذي راح يبث شكايته وآلامه المبرحة في شعره ، غير أنه لم يستطع أن ينعزل بشعره عن عالمه ومجتمعه المحيط به ، الذي بات يصرخ ويئن هو الآخر من وطأة وشدة هذا الوباء الأليم . بعد أن غيّر هذا الوباء صورة العالم بأسره فكريًا وعمليا واجتماعيا وأخلاقيًا ، حيث أوقف هذا الوباء شيئا ما من وحشية وهمجية بعض الدول والحكومات المستبدة المتغطرسة ، وصرفت هممهم واهتماماتهم إلي دروب العلم والطب ، في محاولة لإيجاد لقاح أودواء لهذا الوباء القاتل ، الذي قهرهم وأذلّ كبرياءهم .

وغيّر كذلك الوباء من عادات الناس وسلوكياتهم مع أنفسهم ومع بعضهم البعض فلا مقابلات أو زيارات ، ولا تنزهات أو تجمعات ، ولا مصافحات .

وقامت الدول والحكومات كافة باتخاذ حزمة من القرارات والإجراءات والقوانين الاستثنائية الصارمة والحاسمة ، لمواجهة هذا الوباء ومنع انتشاره بين المواطنين ، لعل من أخطر وأصعب تلك القرارات علي نفوس الناس في عالمنا العربي والإسلامي خاصة قرار غلق المساجد ودور العبادة ، ومنع إقامة الصلوات والشعائر الدينية في صورة جماعية كما كان معتادا قبل هذا الوباء .

وكشف هذا الوباء أيضًا الستار والغطاء عن بعض السلوكيات والأخلاق القبيحة التي ظهر بها البعض إبّان تلك الأزمة الراهنة ، حيث كثُر الشح والبخل ، والاحتكار والأنانية والكراهية ، وضاعت المروءة ، واختفت النخوة والشهامة من نفوس البعض ،

الذين كانوا يستترون خلف أقنعة خادعة مزيفة ، فجاء هذا الوباء وكشف وفضح أصحابها وأبانهم علي حقيقتهم وحجمهم .

ثم كانت ضربة هذا الوباء القاتلة ، التي أوجعت القلوب ، وقصمت الظهور ، وأدمعت العيون ، في مشهد أليم ونبأ يومي عظيم ، ينعي ويبكي الضحايا والشهداء من مصابي هذا الوباء ، الذين قضوا نحبهم إثر تعرضهم للإصابة بهذا الوباء القاتل ، فرأيناه كل يوم يحصد أرواح الكبار والصغار علي السواء .

هذا المشهد الجزئي للمجتمع والحياة لم يكن بالأمر الهين اليسير علي نفس شاعرنا المرهفة ، وروحه الرقيقة ، ولم تمر عليه تلك الأحداث علي الرغم من مصابه وألمه هو الآخر مرور الكرام ، ولم ينشغل بحاله وآلامه عن سائر أحوال من حوله من الناس ، فراح يرصد في شعره ويتفاعل بفنه مع تلك الأحداث والأوجاع الإنسانية المريرة .

فنطالع في شعر الدكتور " محمد غزاوي " تلك الأحداث والمتغيرات العالمية والاجتماعية ، ونراه يرصد بعدسة الفنان الماهر في صدق قول وعذوبة بيان أثر هذا الوباء علي الناس والبشرية كافة ، وتأثيره البالغ علي حياتهم وأحوالهم .

ونراه في موطن آخر يذم ويهجو ويشكو من سوء الأخلاق وفساد الضمائر والقلوب التي بدا عليها البعض إبان تلك الأزمة الطاحنة .

ونراه كذلك يتحدث عن أثر غلق المساجد علي نفسه ونفوس المسلمين ، ثم يتحدث في إنسانية صادقة ومشاركة وجدانية فاعلة عن دور الأطباء الكبير والقدير في مواجهة هذا الوباء والتصدي له بأرواحهم وأنفسهم .

ثم يبكي ويرثي بدموع الفن وصرخاته المعبرة المؤثرة كل من سقط واستشهد جرّاء الإصابة بهذا الوباء الأليم .

وفي الصفحات التالية نتعرض بشيء من التفصيل والتوضيح لتلك الأحداث والمظاهر الأليمة التي أصابت الناس والمجتمع جرّاء هذا الوباء ، وذلك من خلال عدة صور علي النحو التالي :

الصورة الأولي : الحديث عن عموم الوباء وعالميته .

الصورة الثانية : الحديث عن المساوئ والمعايب في المجتمع .

الصورة الثالثة : الحديث عن أزمة غلق المساجد .

الصورة الرابعة : الحديث عن دور الأطباء في مواجهة الوباء .

الصورة الخامسة : رثاء الضحايا والشهداء .

الصورة الأولي

الحديث عن عموم الوباء وعالميته

نشأ هذا الوباء المستجد الذي عرف واشتهر بوباء الكورونا أول ما نشأ في مدينة (ووهان الصينية) ، وما لبث أن شاعت وانتشرت الأخبار المفزعة سريعًا عن مدي وحشية هذا الوباء وشراسته علي البشر ، ثم تطور الأمر وازداد الخطر ، وازدات سرعة انتشاره واستشرائه في المدن والبلدان العالمية التي لم يكن في حسبانها هذا الوباء الخطير . ثم تكاثر هذا الوباء في كل مكان بسبب السفر والترحال والتنقل بين المدن والبلدان ، وكثرة اختلاط الناس في بداية الأمر حتى عمّ البلاء وطمّ الوباء .

وتبودلت الاتهامات والأقاويل بين الدول والحكومات العالمية الكبرى حول تعمد بعض الدول تصنيع وتحضير هذا الفيروس والعمل علي انتشاره بين الدول ، فيما يسمي بالحرب البيولوجية الحديثة ، وذلك بغرض ضرب الاقتصاد لبعض الدول ووقف حركة العمل والإنتاج بها .

وأيما كانت طبيعة هذا الفيروس وظروف نشأته وتكوينه أهو عمل بشري شيطاني متعمد ، أم جند رباني مرسل ، فقد أصبح هذا الوباء بين عشية وضحاها حديث الساعة

المأساوي ، وكارثة العالم الكبرى ، وكابوسه المزلزل الذي لم يجد لـه أحد تفسيرا أو بيانا عن حقيقته أو علاجه .

واقتحم هذا الوباء الحدود والسدود ، وغزا الممالك والسلاطين ، واستوطن في كل مكان ومصر ، دون أن تستطع أية قوة عالمية أن توقف زحفه وانتشاره السريع .

وقد عبّر الشاعر " محمد غزاوي " في شعره عن ذلك الزحف الكوروني الغاشم علي العالم في قصيدته التي يقول فيها : (١)

قَالُوْا (الْكُرُوْنَا) فِي الْبِلَاد   لَمْ تُبْقِ سَهْلًا أَوْ وِهَادْ
(وُوْهَانُ) مَنْشَأُ أَمْرِهَا   وَبِطِرْسِهَا كَانَ الْمِدَادْ
وَالْغَرْبُ رَاحَ بِغَمْضَةٍ   يَتَسَاقَطُوْنَ كَمَا الْجَرَادْ
وَالْأَمْرُ كَانَ بِفِعْلِهِمْ   قَدْ عَمَّهُمْ سُوْءُ الْحَصَادْ
وَالشَّرْقُ ضَجَّ (بِفَيْرَسٍ)   (كُوْفِيْدُ) يَنْخَرُ فِي الْعِبَادْ
وَالْعُرْبُ تَصْرُخُ مَا لَنَا   فَالنِّفْطُ يَهْوِي بِالْكَسَادْ
وَالْفَقْرُ غُوْلٌ مُوْحِشٌ   وَالْجُرْذُ تَقْرِضُ كُلَّ زَادْ
وَالنَّاسُ تَأْخُذُ حِذْرَهَا   يَتَسَارَعُوْنَ كَمَا الْجِيَادْ
فَسَلَامُهُمْ إِيْمَاءَةٌ   وَالْبُعْدُ عَنْهُمْ ذَا الْمُرَادْ
وَالْكُلُّ يَهْتِفُ رَبَّنَا   وَكَأَنَّهُمْ يَوْمَ التَّنَادْ
يَتَضَرَّعُوْنَ لِخَالِقٍ   وَالْخَوْفُ يَعْلُوْ فِي ازْدِيَادْ
وَالْآهُ مِنْ أَعْمَاقِهِمْ   قَدْ جَاوَزَتْ سُحْبًا وَوَادْ

(١) الديوان ص ٣٨

قَـــــدْ أَخْلَصُـــــوْا نِيَّـــــاتِهِمْ قَـــــدْ طَهَّرُوْهَـــــا بِـــــالْوِدَادْ
وَالـــــدَّمْعُ مِـــــنْهُمْ قَـــــدْ بَـــــدَا وَاللَّفْـــظُ مِـــنْهُمْ فِـــي اتِّقَـــادْ
يَـــــــا رَبِّ أَدْرِكْ جَمْعَنَـــــــا وَالصَّـــــدْرُ يَخْفُـــــقُ وَالْفُـــــؤَادْ
وَاللهُ مِـــــنْ فَـــــوْقِ الْـــــوَرَى يَحْنُـــــوْ وَيَـــــرْأَفُ بِالْعِبَـــــادْ
سَـــــيُزِيْلُ كُـــــلَّ مُلِمَّـــــةٍ وَسَـــــتَخْلَعُ الـــــدُّنْيَا الْحِـــــدَادْ
وَالْفَـــــرْحُ يَطْـــــرُقُ بَابَنَـــــا وَالْخَـــــوْفُ يَعْـــــدُوْ وَالسُّـــــهَادْ
وَالْحُـــــبُّ يَـــــأْوِيْ هَائِمًـــــا وَالكُـــــرْهُ لَـــــيْسَ لَـــــهُ سَـــــدَادْ
وَالْخَيْـــــرُ يَمْـــــلَأُ أَرْضَـــــنَا وَيَعُـــــمُّ فِيْنَـــــا ذَا الْحَصَـــــادْ

استهل الشاعر قصيدته بالإشارة إلي عموم انتشار هذا الوباء في شتي الأقطار والأمصار ، ثم أشار إلي موطن ظهور هذا الوباء وبؤرة انتشاره وهي مدينة (ووهان) الصينية ، التي انطلق منها الوباء إلي بقية العالم ، ثم اجتياحه واقتحامه دول الغرب بأسره التي راحت تتساقط أمام وحشيته دولة تلو أخري ، وانكسرت شوكة يد الشيطان في الأرض وهي دولة (أمريكا) الغاشمة ، التي نادى بعض السفهاء والجهلاء من وقت قريب بأنها علي كل شيىء قدير، وهي الفاجرة العاهرة ، التي صيرها الوباء ذليلة حاسرة .

أما عن الضعفاء والعملاء من العرب المغلوبين علي أمرهم قد عاشوا في ذعر وحذر من آخرتهم التي خربوها ، وخوف وقلق علي دنياهم التي زينوها وعمروها بدماء شعوبهم ومقدرات أوطانهم المقهورة .

ولم يجد الناس إزاء هذا الطوفان الكوروني المدمر سوى اللجوء والتضرع إلي الله – عز وجل – والدعاء بأن يتلطف بهم ويرفع عنهم الوباء والبلاء .

وبنى الشاعر قصيدته علي جملة من الأساليب الخبرية ، التي أظهرت وكشفت عن بعض الأمور والحقائق والأسرار التي صاحبت هذا الوباء العالمي ، مستعينًا كذلك ببعض صور الخيال الرائق المعبر ، مثل التشبيه في قوله :

وَالْغَـــــرْبُ رَاحَ بِغَمْضَـــــةٍ يَتَسَـــاقَطُوْنَ كَمَـــا الْجَـــرَادْ

حيث شبه الشاعر تساقط الغرب وانهياره السريع علي يد هذا الوباء بتساقط أسراب الجراد علي الأرض وهلاكها .

وفي وقوله :

وَالشَّـــرْقُ ضَـــجَّ (بِفَيْـــرَسٍ) (كُوْفِيْـــدُ) يَنْخَـــرُ فِـــي الْعِبَـــادْ

ثم نراه يذكر المسمي الطبي لهذا الوباء وهو (كوفيد) .

ونري كذلك التشبيه البليغ في قوله :

وَالْكُـــــلُّ يَهْتِـــــفُ رَبَّنَـــــا وَكَـــــأَنَّهُمْ يَـــــوْمَ التَّنَـــــادْ

حيث صور الشاعر حالة الفزع والهلع المريب التي سيطرت وخيمت علي الناس ، وحالة الخشوع والتضرع لله بموقف يوم القيامة (يوم التناد) يوم تخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا . مستحضرا مع هذا الأسلوب البياني خاصية التناص القرآني مع قول الله – تعالي – : " وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ " .[1]

والقصيدة في مجملها صرخة مدوية من الشاعر ، أطلقها وعبّر بها عما أصاب البشرية من ذهول وفجيعة جراء قدوم هذا الوباء وانتشاره بين الناس .

(١) الآية ٣٢ سورة غافر .

وفي قصيدة أخري مشابهة للقصيدة السابقة يتحدث الشاعر " محمد غزاوي" عن آثار وأضرار هذا الوباء الكوروني وعموم انتشاره السريع في بلدان العالم قائلًا :[1]

قَـــالُوْا (الْكُرُوْنَـــا) تَقْتُـــلُ ... تُعْـــدِي الْقَرِيْـــبَ وَتَنْقِـــلُ

وَتَـــرُوْمُ كُـــلَّ مُخَـــالِطٍ ... وَوَبَاؤُهَـــــا يُتَمَثَّـــــلُ

لَـــمْ تُبْـــقِ مِصْـــرًا خَالِيًـــا ... وَبِأَرْضِـــــنَا تَتَمَايَـــــلُ

وَبِكُـــلِّ شِـــبْرٍ فِـــي الـــدُّنَى ... تَبْغِـــي الْأَنَـــامَ وَتَفْعَـــلُ

فَالصِّـــيْنُ أَضْـــحَتْ مَـــوْئِلًا ... وَالْغَـــرْبُ مِنْـــهُ يُوَلْـــوِلُ

وَالـــرُّوْسُ يَفْقِـــدُ عَقْلَـــهُ ... وَالشّـــــرْقُ لَا يَتَحَمَّـــــلُ

وَالْغَـــرْبُ ضَـــاعَ (بِفَيْـــرَسٍ) ... وَبِمَكَّـــــةٍ يَتَخَايَـــــلُ

وَالنَّـــاسُ تَلْـــزَمُ بَيْتَهَـــا ... وَالْحَظْـــرُ حَـــتْمٌ يَشْـــمَلُ

وَالطَّفْـــلُ يَصْـــرُخُ بَاكِيَـــا ... وَالشَّـــيْبُ مِنْهَـــا يُـــذْهَلُ

والْكُـــلُّ يَرْجُـــفُ خَائِفًـــا ... وَمَـــا إِخَالُـــكَ تَجْهَـــلُ

فَمَسَـــاجِدٌ قَـــدْ أُغْلِقَـــتْ ... وَسُـــكُوْنُهَا يَتَوَاصَـــلُ

وَمَـــآذِنٌ قَـــدْ أُسْـــكِتَتْ ... وَقِبَابُهَـــا تَتَهَامَـــلُ

وَالْبُـــؤْسُ قَـــدْ عَـــمَّ الـــدُّنَى ... وَالْهَـــمُّ سُـــحْبٌ تَهْطُـــلُ

إِنَّ الْحَيَـــاةَ عَزِيْـــزَةٌ ... وَالـــرُّوْحُ مِنْهَـــا تَنْسِـــلُ

رَبَّـــاهُ أَنْـــتَ الْمُرْتَجَـــي ... أَنْـــتَ الـــرَّحِيْمُ تُؤَمَّـــلُ

(١) الديوان ص ٧٩

دَاوِ الْأَنَـــــــامَ بِنَظْـــــــرَةٍ وَأْمُـــرْ (كُرُوْنَـــا) تَرْحَـــلُ

في هذه القصيدة نرى الشاعر يتحدث عن آثار هذا الوباء المتوحش وأضراره الوخيمة والأليمة علي الناس كافة ، من القتل وسرعة العدوى والإصابة به لأهون الأسباب، من المخالطة والتعامل مع المصابين به .

ثم يتحدث الشاعر عن سرعة انتشاره واستشرائه في كافة البلاد والأمصار دون استثناء ، ويتناول مسميات لبعض الدول والمدن التي استوطن بها الوباء واستفحل فيها خطره مثل (الصين ، والروس ، والشرق ، والغرب ...) .

ثم يكشف عن أثر هذا الوباء الوخيم الأليم علي الناس كافة ، دون تمييز أو تفريق بين أحد منهم نلحظ ذلك في قوله :

وَالطَّفْـــلُ يَصْـــرُخُ بَاكِيَـــا وَالشَّـــيْبُ مِنْهَـــا يُـــذْهَلُ

حيث أكّد علي هذا العموم والشمول للوباء بالطباق البديعي بين(الطفل ، والشيب) الذي دلّ به علي مدى إحاطة الوباء بجميع الفئات والأعمار البشرية سواء ، دون مراعاة لذي شيبة كبير ، أو ضعف صغير .

وهكذا استطاع الشاعر أن يصور مدى توغل هذا الوباء واستشرائه في البلاد ، وسرعة انتشاره بين الناس ، مبينا مدى وحشيته وشراسته التي لم يستطع أحد إيقافه أو القضاء عليه .

الصورة الثانية

الحديث عن فساد الأخلاق في زمن الوباء

مما لا شك فيه أن المحن والأزمات تمحصُ الناس ، وتكشف عن حقائقهم وطبائعهم ، وتبين معادنهم وأصالتهم ، وقد كشف هذا الوباء الستار عن بعض المساوئ والمعايب الأخلاقية والسلوكية القبيحة التي بدا عليها البعض إبّان تلك الأزمة الوبائية المفاجئة ، وفضح ما كان مخبوءًا ومستترًا خلف أقنعة الوجوه الباسمة والألسنة المعسولة الكاذبة ، التي تظهر وقت السراء والرخاء في صورة ملائكية ومثالية ، وفي وقت البأساء والضراء علي حقيقتها الشيطانية الخبيثة .

وهذا ما أفصح عنه وكشفه وباء كورونا حينما عمّ وطم وجثم علي صدور ونفوس الناس ، حيث تبدلت الأخلاق ، وتغيرت السلوكيات ، فكثر الشح والبخل ، وساد الطمع والجشع والاحتكار ، وعمت الأنانية والذاتية ، وضاعت المروءة والنخوة والشهامة ، وانشغل الناس بتطهير ظاهرهم دون باطنهم ، ومداواة قوالبهم دون قلوبهم .

وقد استرعي هذا الأمر الغريب المريب فكر ونفس شاعرنا المرهفة ، وأثار غضبه وسخطه علي تلك الأخلاقيات والسلوكيات الغريبة علي مجتمعنا وحياتنا ، ونادى علي قومه بأهمية وحتمية إصلاح القلوب والنفوس قبل كل شيىء آخر قائلًا : (١)

طَهِّرُوْا كُلَّ الْقُلُوْبْ ... وَاحْذَرُوْا كُلَّ الْعُيُوْبْ
وَاغْسِلُوْا صَدْرًا تَرَبَّى ... فِي حَضَانَاتِ الذُّنُوْبْ
وَابْعُدُوْا عَنْ كُلِّ أَمْرٍ ... فَاسِدٍ أَوْ قَدْ يُصِيْبْ
وَانْفُرُوْا مِنْ كُلِّ وَخْزٍ ... حَاكَ فِي النَّفْسِ مُرِيْبْ

(١) الديوان ص ١٩

وَانْشُـــرُوْا فِـــي كُـــلِّ وَقْـــتٍ كُـــلَّ خَيْـــرٍ أَوْ خَصِـــيْبْ

إِنَّ غُسْـــلَ الْجَسْـــمِ حَـــتْمٌ حَـــافِظٌ مِمَّـــا يَشُـــوْبْ

بَيْـــدَ أَنَّ الْقَلْـــبَ أَوْلَـــى مِـــنْ مُضِـــرَّاتٍ تَنُـــوْبْ

لَا تَتُوْهُـــوْا فِـــي الْمَعَاصِـــي وَاذْكُـــرُوْا رَبَّ الْغُيُـــوْبْ

عَلَّـــهُ يَحْنُـــو عَلَيْنَـــا بِشِـــفَاءٍ عَـــنْ قَرِيْـــبْ

فَيُـــزَاحُ الْهَـــمُّ عَنَّـــا (وَكُرُوْنَـــا) لَا تُصِـــيْبْ

وَيُصَـــبُّ الْخَيْـــرُ صَـــبًّا وَالْأَمَـــانِي وَالطُّيُـــوْبْ

وَرِيَـــاحُ الْبِـــرِّ تَعْـــنُ وَالصَّـــبَابَاتُ هُبُـــوْبْ

وَنُفُـــوْسُ الْخَلْـــقِ تَحْيَـــا فِـــي مُـــلَاءَاتِ الطُّـــرُوْبْ

طَهِّـــرُوْا جِسْـــمًا تَبَـــدَّى وَاحْفَظُـــوْا نَفْسًـــا تَطِيْـــبْ

وَاذْكُـــرُوْا صِـــدْقًا وَوَعْـــدًا وَابْعُـــدُوْا زَيْـــفَ الْقُلُـــوْبْ

وَانْثُـــرُوْا حُبًّـــا وَوَرْدًا فِـــي الْحَنَايَـــا وَالـــدُّرُوْبْ

حِيْنَهَـــا لَـــم نَخْـــشَ شَـــيْئًا وَ(كُيُوْفِيْـــدٌ) يَخِيْـــبْ

يرسم لنا الشاعر في تلك اللوحة الفنية المعبرة صورة أخلاقية وإنسانية عالية ، داعبت خياله المرهف ، ووجدانه الصادق ، وروحه المسالمة الحالمة بعالم إنساني ومثالي راق ونبيل ، تتلاشى فيه الفوارق بين الناس ، وتزول منه الضغائن والأحقاد من نفوس البشر ، حتى يستطيعوا أن يتغلبوا بفطرتهم الإنسانية النقية التي فطرهم الله عليها علي تلك النازلة والفاجعة الأليمة .

واعتمد الشاعر في رسم تلك اللوحة علي عدة صيغ إنشائية طلبية ، ظهرت في جملة من الأوامر التالية (طهروا ، واحذروا ، واغسلوا ، وابعدوا ، وانفروا ، وانشروا واذكروا ، واحفظوا ، وابعدوا ، وانثروا) والتي أفادت أهمية وسرعة التحلي بالفضائل والمحامد من الأخلاق والصفات الحميدة التي نادى بها ، والتخلي عن الرذائل والموبقات التي عمّت وانتشرت بين الناس إبّان تلك الأزمة ، وحتى يؤكد علي تلك الأوامر الطلبية أعقبها بالجواب المباشر لتلك الأوامر والتي ظهرت في مفردات (يحنو ، يزاح ، يصب ، تعنو ، تحيا ، تطيب ، يخيب) وهي كما نرى أفعال مضارعة جاءت جوبًا للأوامر السابقة التي يجنيها المرء من وراء تلك الصفات والشمائل الحميدة التي نادى بها الشاعر وحث عليها .

ولكن يبدو أن دعوة الشاعر السابقة لم تلق آذانا واعية ، أو عقولا فاهمة ، فما أن استفحل أمر الوباء واستشرى خطره وأثره بين الناس ، وراح يعمل مخالبه وبراثنه الوحشية القاتلة في أجساد العباد الواهية ، غير مبال ولا مفرق بين طبيب ومطبوب ، وراح الناس يتساقطون جرّاء الإصابة به واحدا تلو الآخر ، وهم في فزع وهلع مريب ، بسبب تزايد الإصابات وتوالي الوفيات منه .

وفي أثناء تفشي هذا الوباء تعانق الداء مع الغباء ، واجتمع الجهل مع المرض علي بعض الناس سواء ، وبلغ الفزع والخوف بالناس مبلغًا أنساهم وأعماهم عن القيم والفضائل التي تربوا وعاشوا عليها ، بعد أن خُيِّل للبعض منهم جهلًا وسفهًا أنّ من مات مصابًا بوباء الكورونا تتعدى إصابته وعدواه وهو في قبره إلي الأحياء المحيطين به ، مما دفع السفهاء والجهلاء إلي محاولة التصدي ومنع دفن من مات بهذا الوباء في مقابرهم ، في سابقة من الخزي والعار الإنساني لم نشهدها من ذي قبل ، وهذا ما حدث مع طبيبة قرية شبرا بمحافظة الدقهلية التي قضت نحبها ، وأسلمت روحها لله ، بعد تعرضها للإصابة بهذا الوباء وهي تؤدي عملها في شرف وجهاد ، وحُمل نعشها الذي حوى رفات المجاهدة الصابرة لكي يواري الثري في مقابر أسرتها في قريتها ، فكانت الطامة الكبري ،

حينما وقف لها أهل قريتها بالمرصاد والعناد ، رافضين بجهلهم أن تدفن معهم في قريتها خشية الإصابة والعدوى منها بعد وفاتها ، مما دفع أهلها إلي الاستعانة برجال الشرطة لمساعدتهم في دفنها ، فكان المشهد المخزي المهين في حالة الشد والجذب بينهم وبين رجال الأمن الذين أجبروهم علي دفنها قهرًا وكرهًا .

ولاقت تلك الحادثة المؤلمة صدى واسعًا وكبيرًا بين الناس آنذاك ، وتعاطف الجميع مع تلك الطبيبة الشهيدة ، وصبّوا جمّ غضبهم وسخطهم علي أهل تلك القرية الظالم أهلها.

وكان لشاعرنا " محمد غزاوي " رؤيته الشعرية الخاصة ، وغضبته الفنية المعبرة إزاء تلك الحادثة الأليمة المخزية ، حيث كشف دقائق وحقائق هذا المشهد الأخلاقي المشين وذلك في قوله : (١)

يَا شُبْرَا مَالَكِ تَرْفُضِيْنَ رُفَاتِي ... وَأَنَا الَّذِي لَكُمُو وَهَبْتُ حَيَاتِي

قَضَّيْتُ عُمْرِي لَا أَرُوْمُ مَنَاصِبًا ... بِالْعِلْمِ أَحْيَا وَالْعُلَا ثَكَنَاتِي

عَالَجْتُ كُلَّ مَرِيْضِ جِسْمٍ مِنْكُمُو ... لَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجَهْلَ سَوْفَ يُوَاتِي

قَدْ كُنْتُ أَحنو بِالصَّغِيْرِ وَلَا أَنِي ... أُعْطِي الضَّعِيْفَ بِكُلِّ وَفْرِ هِبَاتِي

لَمْ أَدَّخِرْ يَوْمًا لِوَقْتٍ بَيْنَكُمْ ... وَمَنَحْتُكُمْ عَقْلِي وَكُلَّ شِيَاتِي

زَوْجِي الْحَبِيْبُ تَرَاهُ يَعْزِفُ بَيْنَكُمْ ... لَحْنَ الْإِخَاءِ بِأَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ

أَبْنَاءِ بَيْنَكُمُو تُزِيْنُ مَجَالِسًا ... وَالْخُلْقُ فِيْهِمْ سَامِقُ الْهَضَبَاتِ

مَاذَا صَنَعْتُ لَكُمْ أَجِيْبُوْا عَلَّنِي ... أَغْفُوْ قَلِيْلًا مِنْ رُبَى الْحَسَرَاتِ؟!

هَلْ كَانَ ذَنْبِي أَنَّنِي عَالَجْتُكُمْ ... وَمَنَعْتُكُمْ مِنْ أَيِّ مَوْتٍ آتِي؟!

---

(١) الديوان ص ٣٠ .

هَـلْ كَـانَ ذَنْبِـي أَنَّنِـي لَـمْ أَخْتَبِـئْ ... مِثْـلَ الَّـذِيْنَ تَحَصَّـنُوْا، هَيْهَـاتِ؟!

وَلَزِمْـتُ بَيْتِـي لِلسَّـلاَمَةِ أَرْتَجِـي ... وَتَرَكْـتُ مَشْـفَايَا وَعِشْـتُ لِـذَاتِي

لَكِنَّنِـي رَغْـمَ الْوَبَـاءِ خَرَجْـتُ مِـنْ ... حِصْـنِي وَقُلْـتُ الـدَّاءُ شَـرُّ عِـدَاتِي

فَمَضَـيْتُ أُبْـرِئُ وَاحِـدًا بَعْـدَ الَّـذِي ... قَـدْ كَـانَ يُحْسَـبُ فِـي دُنَـى الْأَمْـوَاتِ

وَفُجَـاءَةً أُعْـدِيْتُ مِـنْ نَفْـسِ الْوَبَـا ... وَالصَّـدْرُ ضَـاقَ وَأُحْكِمَـتْ لَهْـوَاتِي

وَبُعَيْـدَ أَيَّـامٍ قَلَائِـلَ جَـاءَنِي ... مَلَـكٌ يَـرُوْمُ الـنَّفْسَ بِالسَّـكَرَاتِ

أَسْـلَمْتُ رُوْحِـي لِلْإِلَـهِ لَعَلَّنِـي ... أَجِـدُ الْمَثُوْبَـةَ فِـي رُبَـى الْجَنَّـاتِ

رَاحَ الْعِيَـالُ وَبِالْبُكَـاءِ تَرَاهُمُـو ... وَالْمَـاءُ يَجْـرِي دَائِـمَ الْعَبَـرَاتِ

حَمَلُـوْا السَّـرِيْرَ بِلَهْفَـةٍ وَبِصَـرْخَةٍ ... يَتَمَـايَلُوْنَ بِـوَخْزَةٍ وَشَـتَاتِ

حَتَّـى إِذَا مَـا كُنْـتُ عِنْـدَ مَشَـارِفٍ ... وَالْأَرْضُ تَهْفُـوْ لِلُّقَـا بِثَبَـاتِ

وَالـزَّوْجُ نَـادَى يَـا كِـرَامُ أَنِ اِحْفُـرُوْا ... وَتَهَيَّئُـوا لِلـدَّفْنِ وَالصَّـلَوَاتِ

فُوْجِئْـتُ أَنَّهُمُـوْ تَنَـادَوْا بَيْـنَهُمْ ... وَالْإِفْـكُ مِـنْهُمْ وَاضِـحُ النَّفَثَـاتِ

وَاشِـقْوَتَاهُ وَحَسْـرَتَاهُ وَكُرْبَتِـي ... رَفْـضَ الْأَهَـالِي يَقْبَلُـوْنَ رُفَـاتِي

فَطَوَيْـتُ فِـي أَلَـمٍ مَـرَارَةَ خَيْبَتِـي ... وَاللَّفْـظُ يَخْـرُجُ ثَاكِـلَ الرَّايَـاتِ

وَطَفِقْـتُ أَصْـرُخُ وَالـدُّنَى تَتَسَـامَعُ ... لَكِـنَّ شُـبْرَا فِـي رُبَـى السَّـوْءَاتِ

يَتَرَاقَصُـوْنَ عَلَـى ضَـمَائِرَ أُفْنِيَـتْ ... وَقُلُـوْبُهُمْ رَاحَـتْ بِـلَا جِيْئَـاتِ

أَيْـنَ الْمُـرُوْءَةُ مِنْكُمُـوْ يَـا وَيْلَتِـي؟! ... أَيْـنَ الشَّـهَامَةُ فِـي وَغَـى النَّكَبَـاتِ؟!

أَيْـنَ الدِّيَانَـةُ وَالرَّسُـوْلُ يَحُـثُّكُمْ؟! ... بَـلْ أَيْـنَ أَمْـرُ اللهِ فِـي الْآيَـاتِ؟!

عَـــارٌ عَلَـــيْكُمْ آلَ شُـــبْرَا فِعْلُكُـــمْ أَيَكُـــوْنُ جِسْـــمِي بِـــالْعَرَا وَرُفَـــاتِي؟!

سَـــيَظَلُّ ذِكْـــرُكُمُ بِسُـــوْءٍ فِـــي الـــدُّنَى يُتْلَـــى وَخِزْيِكُمُـــو شِـــعَارُ حَيَـــاتِي

مَهْمَـــا فَعَلْـــتُمْ مِـــنْ مَحَاسِـــنَ لَاحِقًـــا فَالْعَـــارُ عَـــارُكُمُو مَـــدَى السَّـــنَوَاتِ

تبدو لنا هذه القصيدة وكأنها بكائية ميت ، أو مرثية ميت لنفسه وحاله مع أهل قريته ، وفي هذا الإسقاط ألإحيائي بعد الموت من التشويق والإثارة والمتعة الفنية والوجدانية التي تحيل النص اللفظي الجامد إلي كائن حيٍ ناطق .

ولعل الشاعر قد استحضر وقت إبداعه تلك القصيدة قصيدة شاعر النيل " حافظ إبراهيم " – رحمه الله – (اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها) ، ما جعله يلتزم بقافيتها ورويها الحزين الباكي ، ولكنه آثر بحر الكامل بتفعيلاته الواسعة الرحبة ، وما به من طول وبسط وامتداد يسمح بإطلاق الزفرات والأنات الجهيرة والمهموسة علي السواء ، تناسبًا مع هول الموقف وفداحة الخطب الراهن .

وقد أجاد الشاعر إجادة كبيرة وبالغة في كشف وتصوير أبعاد وحقائق هذا المشهد الأخلاقي المهين المشين ، وفي رسم صورة هذا الموقف المأساوي المرير ، الذي صنع خيوطه السوداوية المظلمة أهل تلك القرية الغاشمة .

ويموج هذا النص بعدد من الثنائيات المتناقضة التي ترسم لحمة المأساة سداها ، فمن جدلية الاتهام والدفاع إلي جدلية ملازمة العار والخزي للقرية وأهلها أبدًا .

ويمطرنا الشاعر في قصيدته بسيل من الأساليب الإنشائية المنوعة (كالنداء الذي استفتح به القصيدة في قول : (يا شبرا ما لك) وهو نداء يوحي بالتوجع والألم من عدم التقدير لها ومقابلة إحسانها لهم بإساءة منهم ونكران ، ويفيد كذلك العموم في اتحاد الموقف المشين من جميع أهل القرية ، الذين لم يكن فيهم رجل رشيد ، يستنكر فعلتهم المشينة ، وجرمهم الكبير بحقها .

ثم جملة الاستفهامات (ماذا صنعت لكم ؟ ، هل كان ذنبي؟ ، أين المروءة ؟) وكلها أساليب تشيع دلالات وإشارات من العتاب واللوم علي ضياع المروءة ، وانعدام النخوة والشهامة من بين أهل قريتها السفهاء .

ولا يعني الشاعر وهو يتكلم بلسان الضحية من وراء استخدام تلك الأساليب الاستفهامية إيجاد إجابات لها بقدر ما يعنيه من استفزاز المخاطب المخطئ وتقريعه ولومه ، وتفجير المزيد من بؤر الندم والتحسر بداخله جرّاء ذنبه وجرمه .

ويتسم هذا النص كذلك بشيوع وكثرة الأفعال الماضية الدالة علي فضائل ومآثر تلك الطبيبة المجيدة ، نلحظ ذلك في جملة الأفعال التالية: (وهبت ، قضيت ، عالجت ، منحتكم ، عالجتكم ، منعتكم ، خرجت ، مضيت ، أحكمت ،) وهي كما نرى أفعال وصيغ دالة علي مآثر وفضائل الطبيبة مع أهل قريتها ، مما كان يستوجب عليهم رد الإحسان بالإحسان ، والمعروف بالمعروف.

وعزف الشاعر في قصيدته علي أوتار المفارقة أو المقابلة الحالية أو المعنوية ، أو ما يسمي بمفارقة الحال والموقف ، وامتد هذا الأمر ليشمل عدة أبيات ومواضع بالقصيدة ، نلمس ذلك جليًا في قوله مفارقا بين حال الطبيبة الضحية الوفية بأهل قريتها، المخلصة لهم التي عالجت مرضاهم وبين حالها اليوم وهي في آخر مراحل وجودها بالدنيا، وهي منبوذة من أهل قريتها ، ونلحظ تلك المفارقة كذلك بين شجاعة تلك الطبيبة وتصديها لهذا الوباء القاتل ثم وقوعها بعد ذلك فريسة وضحية له ، وبين حال التنمر والنكران لها من قبل أهل قريتها .

وكذلك مفارقة الحال والموقف العام بين شجاعتها وخروجها إلي عملها في ظل تلك الظروف العصيبة التي فرّ منها البعض واختبأ خلف أعذار وحجج واهية ، وبين حال غيرها من الأطباء ممن تقاعس وهرب من ساحة الميدان والمعركة مع هذا الوباء .

والقصيدة كما نرى صورة فنية معبرة ومصورة لهذا التدني الأخلاقي والتنمر الإنساني البيغض الذي حلّ بالبعض من ضعاف العقول والنفوس إبّان تلك الأزمة .

وكما كشف هذا الوباء عن السيئ والقبيح من الأخلاق والسلوكيات فينا وفيمن معنا كشف كذلك عن المساوئ والمعايب فيمن حولنا من بني جلدتنا وملتنا . ففي موقف آخر بغيض تخرج علينا الممثلة الكويتية " حياة الفهد " بقولها المزري المهين في حق الوافدين من العاملين في دولة الكويت الشقيقة ومطالبتها لحكومتها بعدم مداواة وإسعاف المصابين بهذا الوباء من الوافدين والإلقاء بهم في الصحراء ، ففي هذا الموقف المخزي من العصبية المقيتة والتنمر البغيض لبني جنسها ، فضلًا عن أواصر الأخوة والمحبة التي تجمع بين شعب كلا البلدين (مصر والكويت) منذ أمد طويل .

ويكشف هذا الموقف كذلك عن حقد دفين ، وخلق مشين تحلى به البعض من السفهاء والموتورين إبّان تلك الأزمة التي فضحت نفاقهم البين ، وجهلهم البغيض .

وهذا ما دفع شاعرنا " محمد غزاوي " إلي إعلان ثورته وغضبته الفنية إزاء هذا الموقف وصاحبته قائلًا : [1]

حَيَـــاةٌ قَالَـــتِ الْفُحْـــشَ الْمُبِيْنَـــا وَرَاحَـــتْ تَنْثُـــرُ الْإِفْـــكَ الـــدَّفِيْنَا

وَمَاجَـــتْ بِـــالْكَلَامِ يَفُـــوْحُ مَيْنًـــا وَسُـــمًّا مِـــنْ ثَنَايَاهَـــا لَعِيْنَـــا

وَلَـــمْ تَـــأْلُو بِكُـــلِّ الزَّيْـــفِ تَتْلُـــو أَحَادِيْـــثَ الـــدُّعَاةِ الْكَاذِبِيْنَـــا

فَقَالَـــتْ: لَا نَـــرُوْمُ عِـــلَاجَ شَـــخْصٍ فَإِنَّـــا قَـــدْ سَـــئِمْنَا نَازِحِيْنَـــا

فَإِمَّـــا أَنْ يُغَادِرَنَـــا بِتَـــوٍّ وَإِمَّـــا الْبَـــرُّ مَـــأْوَى الْوَافِـــدِيْنَا

فَلَـــمْ نَـــدْفَعْ لَهُـــمْ دِيْنَـــارَ مَشْـــفًى وَلَـــنْ نَرْضَـــى بِهِـــمْ ثِقْـــلًا عَلَيْنَـــا

---

١) الديوان ص ٩٧

أَلَا فَلْيَعْلَمُـــوا أَنَّ الـــدِّيَارَا ... حَـــرَامٌ أَنْ تُعَـــالِجَ مَاكِثِيْنَـــا

وَإِنَّ الضِّـــغْنَ بَعْـــدَ الضِّـــغْنِ يَبْـــدُو ... عَلَيْهَـــا وَيُخْـــرِجُ الْحِقْـــدَ الـــدَّفِيْنَا

فَقَالَـــتْ ثُـــمَّ قَالَـــتْ ثُـــمَّ قَالَـــتْ ... وَصِـــلٌّ لِسَـــانِهَا يَحْـــوِي طَنِيْنَـــا

تَنَاسَـــتْ كُـــلَّ فَضْـــلٍ قَـــدْ تَـــرَاءَى ... بَـــلا مَـــنٍّ فَعَلْنَـــاهُ سِـــنِيْنَا

فَعَلْنَـــا لَا نَـــرُوْمُ الشُّـــكْرَ مِنْهَـــا ... فَـــإِنَّ الْفَضْـــلَ مِنَّـــا كَـــانَ دِيْنَـــا

فَـــأَيْنَ الـــدِّيْنُ يَـــا هَـــذِي وَأَيْـــنَ الْـــ ... ـــعُرُوْبَةُ أَمْ تُرَانَـــا قَـــدْ نَسِـــيْنَا!

وَأَيْـــنَ النَّـــاسُ لِلنَّـــاسِ أَجِيْبِـــي ... فَقَـــدْ خَـــرِسَ الِّلسَـــانُ وَقَـــدْ بُلِيْنَـــا!

فَـــإِنَّ النَّـــاسَ مِـــنْ عُـــرْبٍ وَعُجْـــمٍ ... لَيَخْـــدِمُ بَعْضُـــهُمْ بَعْضًـــا يَقِيْنَـــا

أَرَى شَـــعْبَ الْكُوَيْـــتِ بِكُـــلِّ صَـــوْتٍ ... يُنَـــادِي آسِـــفًا لَا تَظْلِمُوْنَـــا

نُكِـــنُّ لَكُـــمْ وِدَادًا لَـــيْسَ يَفْنَـــى ... وَنَبْقَـــى بِالْوَفَـــاءِ مُـــدَجَّجِيْنَا

فَسُـــحْقًا يَـــا حَيَـــاةَ الـــذُّلِّ سُـــحْقًا ... فَأَنْـــتِ الْمَـــوْتُ بَـــلْ عَـــارٌ عَلَيْنَـــا

فَـــدَيْنَا كُـــلَّ مِصْـــرِيٍّ بِـــأَرَضٍ ... بِكُـــلِّ الْحُـــبِّ نُعْطِيْـــهِ الثَّمِيْنَـــا

فَـــإِنَّ الـــدِّيْنَ يَـــأْمُرُ أَنْ تَحَـــابُّوا ... وَأَمَّـــا الْفَهْـــدُ فَلْتَسْـــقُطْ طَحِيْنَـــا

سَـــيَأْذَنُ رَبُّنَـــا مِـــنْ غَيْـــرِ شَـــكٍّ ... عِـــلَاجَ السُّـــقْمِ وَلْتَـــذْهَبْ كُرُوْنَـــا

كشف لنا الشاعر في هذه القصيدة الستار عن موقف شخصي بغيض ودفين ، صدر من ذات قلب عقيم ، ولسان سليط ، لم تراع صاحبته إلًا ولا ذمة في الأخوة ولا الآصرة القوية التي تربط بين الشعوب والأشقاء منذ القدم.

وبرع الشاعر براعة فائقة في تسليط وتوجيه نقده وهجائه علي صاحبة هذا الموقف المشين وحدها ، دون أن يعمم القول أو النقد علي بني وطنها من الإخوة الشرفاء ، وسلّ

الشرفاء والأصلاء من بين هذا النقد والهجاء كما تسل الشعرة من العجين ، نلحظ ذلك في قوله السابق :

أَرَى شَعْبَ الْكُوَيْتِ بِكُلِّ صَوْتٍ يُنَادِي آسِفًا لَا تَظْلِمُوْنَا

نُكِنُّ لَكُمْ وِدَادًا لَيْسَ يَفْنَى وَنَبْقَى بِالْوَفَاءِ مُدَجَّجِيْنَا

فَسُحْقًا يَا حَيَاةَ الذُّلِّ سُحْقًا فَأَنْتِ الْمَوْتُ بَلْ عَارٌ عَلَيْنَا

وبرع الشاعر في الدفاع عن هؤلاء الوافدين المضطهدين خارج أوطانهم ، وبيّن لصاحبة هذا الموقف أنّ لهؤلاء الوافدين يدًا وفضلًا علي أهلها وبلدها مهما تناست هي وأمثالها تلك الحقيقة الراسخة الثابتة ، وذلك في قوله:

تَنَاسَتْ كُلَّ فَضْلٍ قَدْ تَرَاءَى بَلا مَنٍّ فَعَلْنَاهُ سِنِيْنَا

فَعَلْنَا لَا نَرُوْمُ الشُّكْرَ مِنْهَا فَإِنَّ الْفَضْلَ مِنَّا كَانَ دِيْنَا

وقد أحسن الشاعر في إشارته إلي بيان حق الأخوة والإنسانية التي تجمع وتربط بين الناس كافة ، دون النظر إلي ما بينهم من فوارق في الجنس أو الدين أو اللغة ، وذلك من خلال قوله :

فَإِنَّ النَّاسَ مِنْ عُرْبٍ وَعُجْمٍ لَيَخْدِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَقِيْنَا

والقصيدة في صورتها العامة قطعة فنية بارعة صورت رفض الشاعر لمثل هذا السلوك الفردي الموتور ، الذي يصدر عن بعض السفهاء الجهلاء ، الذين انسلخوا من إنسانيتهم وآدميتهم ، وراحوا يزيدون الناس وجعًا علي أوجاعهم ، وحزنًا فوق أحزانهم التي جاء بها هذا الوباء .

الصورة الثالثة

الحديث عن أزمة غلق المساجد

إن من أخطر الآثار والأضرار التي لحقت بالناس كافة وبالمسلمين خاصة جرّاء انتشار واستشراء وباء الكورونا في العالم هو قرار غلق المساجد ومنع إقامة الجمع والجماعات في المساجد ، وذلك لما يمثله المسجد بالنسبة للمسلمين كافة من متنفس روحاني عظيم ، وملتقى إيماني كبير ، فيه تذوب الآلام والهموم ، وفيه تغتسل الأرواح والأبدان من الآثام والأدران ، وفيه ينعم المؤمن بالراحة والرحمة ، ويشعر فيه بالدفء والسكينة والاطمئنان ، ويتزود منه بزاد وفير من التقوى والإيمان .

ونظرًا لخطورة قرار غلق المساجد وأثره البالغ علي نفوس الناس نظر أولوا الأمر في البلاد إلي ما فيه السلامة والنفع للعباد ، ودفع الأذى والضرر عنهم ، فكان قرار غلق المساجد إبّان استشراء واستفحال الوباء ، حتى لا يتزاحم الناس في مكان ضيق ومغلق ، مما قد يزيد من خطر انتشار العدوى بين الناس .

وامتثل المسلمون طوعًا وكرهًا لهذا القرار الأليم علي النفوس ، وراحوا يتخذون من بيوتهم ورحالهم مصلى لهم ، ولكن ظلّت القلوب المؤمنة في حالة تعلق وتشوق وتلهف دائم إلي الصلاة في بيوت الله في الأرض .

وتفاعل شاعرنا " محمد غزاوي " مع تلك الأزمة تفاعلًا صادقًا وباكيًا بيّن فيه أثر إغلاق المساجد علي نفسه قائلًا : [١]

قَالَ الْمُؤَذِّنُ: صَلُّوْا فِيْ رِحَالِكُمُ　　فَهَاجَ صَدْرِي وَرَاحَ الدَّمْعُ يَنْتَظِمُ
وَالْقَلْبُ مِنْ حُزْنِهِ بِالنَّبْضِ مُنْتَفِضٌ　　كَمَوْجِ بَحْرٍ بِكُلِّ اللُّجِّ يَضْطَرِمُ

(١) الديوان ص ٨٧

وَالْآهُ تَحْـــرِقُ وَالْأَكْبَـــادُ مَوْطِنُهَـــا ... وَالْقَلْـــبُ مَـــاجَ فَمَـــا يَسْـــطِيْعُ يَحْـــتَكِمُ

وَمَسْـجِدُ الْحَـيِّ بَعْـدَ الزَّهْـوِ مُنْكَسِـرٌ ... يَنُـوْحُ أَيْـنَ الْأُلَـى وَالْبُـوْسُ يَبْتَسِـمُ؟

وَكَعْبَـــةُ اللهِ تَشْـــكُوْ لَا أَرَى أَحَـــدَا ... أَيْـــنَ الصَّـــلَاةُ وَأَيْـــنَ الْعُـــرْبُ وَالْعَجَـــمُ؟

أَيْـنَ الطَّـوَافُ فَكُـلُّ النَّـاسِ قَـدْ ذَهَبُـوْا؟ ... وَظَلْـــتُ وَحْـــدِي بِـــلَا زُوَّارِ أَغْـــتَمِمُ

أَيْـنَ الْبُكَـاةُ وَأَيْـنَ السَّـائِحُوْنَ هُنَـا؟ ... فَالْكُـــلُّ قَـــدْ وَدَّعُـــوَا وَالـــدَّاءُ يَخْتَـــرِمُ

لَـــمْ يَبْـــقَ إِلَّا نِـــدَاءُ اللهِ يَرْفَعُـــهُ ... هَـــذَا الْمُـــؤَذِّنُ وَالْأَوْرَادُ تُخْتَـــتَمُ

إِلَهِـــي عَجِّـــلْ فَـــإِنَّ الْهَـــمَّ حَاصَـــرَنَا ... وَالْيَـــأْسُ يَنْشِـــبُ كُـــلَّ النَّـــاسِ يَلْـــتَهِمُ

كَيْـفَ السَّـبِيْلُ إِلَـى تَعْمِيْـرِ مَسْـجِدِنَا ... فَتَهْـــدَأُ الـــنَّفْسُ وَالْأَرْوَاحُ تَلْتَـــئِمُ

تَـذُوْبُ شَـوْقًا (لِحَيْعَـلٍ) بِكُـلِّ شَـذًى ... فَتَـــنْفُضُ الـــذَّنْبَ وَالْآثَـــامُ تَنْصَـــرِمُ

وَيَـرْقُصُ الْقَلْـبُ جَـاءَ الْغَيْـثُ مُنْهَمِـرًا ... وَرَاحَ جَـــدْبٌ بِكُـــلِّ الْهَـــمِّ يَنْهَـــزِمُ

وَالْكَـــوْنُ يَبْسُـــمُ فَـــالرَّحْمَنُ يَشْـــمَلُنَا ... قَـــدْ عَجَّـــلَ الْبِشْـــرَ وَالطَّـــاعُوْنُ يَنْحَسِـــمُ

وَالْأَرْضُ تُزْهِـــرُ وَالْأَحْـــلَامُ مُوْنِقَـــةٌ ... وَالسَّـــحْبُ تَبْكِـــي بِكُـــلِّ الْغَيْـــثِ تَنْسَـــجِمُ

وَالشَّـوْقُ يَرْجِـعُ بَعْـدَ الْهَجْـرِ فِـي أَلَـقٍ ... وَالصَّـــفْحُ يَزْهُـــو وَذَاكَ الشَّـــمْلُ يَلْتَـــئِمُ

صـوّر الشـاعر المحـزون فـي هـذه القصـيدة مـدى الأسـى والحـزن الـذي أحـاط بالمسلمين ، وخيّم علي حياتهم ونفوسهم إثر قرار غلق المساجد الذي حال بينهم وبين ما كـانوا يشـتهونه ، ويعتادونـه مـن ارتيـاد المسـاجد ، والرتـع فـي سـاحتها ورياضـها النضـرة العطرة .

وتحتشد في هذا النص عدة مفارقات حاليـة ، تظهر فـي المفارقـة بين حالـة الحزن والهم التي تكسو حياة المؤمنين وقت سماعهم الآذان في زمن الوبـاء وهم لا يستطيعون

الخروج للمسجد ، وبين حالة الطمأنينة والسكينة والراحة التي من المفترض أن تغمر نفس المؤمن ساعة النداء للصلاة .

وزاد الشاعر من حجم تصوير الألم والأسى حينما صوّر خفقان القلب وانتفاضه حزينا مهموما ساعة سماعه قول المؤذن: (صلوا في رحالكم) بموج البحر المتلاطم الهائج المضطرب الذي لا يجد مرفأ هادئًا يرسو عليه ويستريح .

وازدان النص بجملة من الصور والأخيلة البيانية البليغة التي أكسبت المشهد بيانًا ووضوحًا فبالإضافة إلي التشبيه السابق نراه يستخدم التشخيص والتجسيم في قوله :

وَمَسْجِدُ الْحَيِّ بَعْدَ الزَّهْوِ مُنْكَسِرٌ يَنُوْحُ أَيْنَ الْأُلَى وَالْبُؤْسُ يَبْتَسِمُ؟

وَكَعْبَةُ اللهِ تَشْكُوْ لَا أَرَى أَحَدَا أَيْنَ الصَّلَاةُ وَأَيْنَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ

حيث صور مسجد الحي بإنسان ينوح ويبكي حرمان المصلين من دخوله والصلاة فيه ، مؤكدًا علي ذلك بالطباق البديعي بين (الزهو ، والبؤس) وبين (منكسر ويبتسم) الذي بيّن الفارق الكبير بين صورة المسجد وحاله قبل الحظر وبعده .

وصور كذلك بيت الله الحرام (الكعبة المشرفة) بإنسان يشكو من حرمان المصلين بها، والطائفين، والعاكفين، والركع السجود .

وفي هذا التصوير البياني البليغ إظهار لمدى شوق المساجد وحنينها إلي المصلين كشوق وحنين المصلين لها أو أشد .

واحتشدت في هذا النص كذلك جملة من الأساليب الإنشائية المعبرة ، نلحظ ذلك في الاستفهامات التالية: (أين الألي ؟ أين الصلاة ؟، أين العرب والعجم ؟ أين الطواف ؟ أين البكاة ؟ أين السائحون ؟ كيف السبيل ؟) ، وكشفت تلك الأساليب والصور عن مدى حالة الحزن والشجن التي خيمت علي المساجد كافة وعلي الكعبة المشرفة خاصة إثر منع الصلوات والطواف فيها .

ثم يختتم الشاعر قصيدته بالدعاء والتضرع لله ؛ لكي يرفع عن الناس البلاء والوباء ، ويعجل لهم العودة إلي بيوته ورحابه الطاهرة .

والقصيدة في مجملها لوحة فنية بارعة ، أظهرت مدى شدة الألم وفداحة الخطب الذي ألمّ بالشاعر وبنفسيته وبالحياة من حوله بسبب قرار غلق المساجد إبّان تلك الأزمة.

وفي قصيدة أخرى يصور الشاعر مدى ما ألمّ به من حزن وألم علي قرار غلق الحرمين الشريفين (المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف) الذي اتخذته المملكة السعودية بسبب تفتشي وانتشار وباء كورونا ، والخوف علي المصلين والمعتمرين من عدوى وخطر الإصابة به ، وقال الشاعر في ذلك باكيًا : (١)

بَكَتْ عَيْنِي وَسَالَ الدَّمْعُ مِنِّي ... وَأَضْنَانِي الْبُكَاءُ فَلَا تَلُمْنِي

وَجَفْنِي قَدْ تَقَرَّحَ مِنْ دُمُوْعٍ ... تَفِيْضُ مِنَ الْمَآقِي رَغْمَ عَنِّي

وَقَلْبِي قَدْ تَمَزَّقَ فِي ضُلُوْعِي ... وَصَدْرِي ضَاقَ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنِ

عَلَى حَرَمٍ تَرَاءَى فِي صُمُوْتٍ ... وَسَاحةِ كَعْبَةٍ تَشْكُو التَّجَنِّي

خَلَتْ مِنْ زَائِرِيْنَ وَمِنْ طَوَافٍ ... وَقَدْ سَادَ السُّكُوْنُ وَغَابَ رُكْنِي

فَأَيُّ مُصِيْبَةٍ وَقَعَتْ تُرَاهَا؟ ... وَأَيُّ جَرِيْمَةٍ طَافَتْ بِذِهْنِي؟

وَإِنَّ اللَّوْحَةَ الشَّوْهَاءَ أَضْحَتْ ... إِطَارًا فِي الْغُدُوِّ وَفِي الدُّجُنِّ

أَيُمْنَعُ بَيْتُ رَبِّي مِنْ صَلَاةٍ ... وَفِي الْحَفَلَاتِ آلَافٌ تُغَنِّي؟!

عَلَى أَنْغَامِ رَقْصٍ قَدْ تَبَارَوْا ... وَفِي التَّرْفِيْهِ يَحْلُوْ كُلُّ لَحْنِ

سَأَلْتُ الرَّائِحِيْنَ بِكُلِّ أَرْضٍ ... فَقَالُوْا لَا تَسَلْ وَاسْكُتْ بِظَعْنِ

(١) الديوان ص ١٢٢ .

سَـمِعْتُ الصَّـوْتَ مِـنْ أَعْلَـى يُنَـادِي ... بِطَـــاعُوْنٍ يُـــدَمِّر كُـــلَّ حِصْـــنِ
فَيَحْصُـــدُ كُـــلَّ يَـــوْمٍ رُوْحَ عَبْـــدٍ ... وَلَـــمْ يَأْبَـــهْ بِـــدِيْنٍ أَوْ بِسِـــنِّ
(فَكُوْفِيْـــدٌ) يَـــزُوْرُ بِـــلَا تَـــوَانٍ ... بِـــلَادَ اللهِ مِـــنْ إِنْـــسٍ وَجِـــنِّ
عِقَـــابُ اللهِ يَـــأْتِي لَا يُبْـــالِي ... لَعَـــلَّ الْعَبْـــدَ لَا يَعْصِـــي بِـــدَنِّ
وَيُقْلِـــعُ تَائِبًـــا مِـــنْ غَيْـــرِ عَـــوْدٍ ... وَيَرْفَـــعُ لِلْإِلَـــهِ وَلَا يُمَنِّـــي
إِلَهِـــي لَا تُؤَاخِـــذْنَا فَإِنَّـــا ... فَعَلْنَـــا الـــذَّنْبَ فَـــاغْفِرْ سُـــوْءَ ظَـــنِّ
أَلَا فَـــأْذَنْ بِتَفْـــرِيْجٍ وَرُحْمَـــى ... فَقَـــدْ عَـــمَّ الْعِقَـــابَ بِـــلَا تَـــأَنِّ
وَسَـــامِحْ وَارْفَـــعِ الْبَلْـــوَى إِلَهِـــي ... فَقَـــدْ ضَـــعُفَ الزِّنَـــادُ بِكُـــلِّ طَعْـــنِ
فَأَدْرِكْنَـــا وَجَـــاوِزْ كُـــلَّ سُـــوْءٍ ... فَإِنَّـــا نَكْتَـــوِي وَالْحَـــالُ تُغْنِـــي
فَبُـــؤْسُ الْعَـــيْشِ يَقْطُـــرُ بِالْمَآسِـــي ... وَكَعْبَـــةُ رَبِّنَـــا أَمْسَـــتْ بِحُـــزْنِ

في هذه القصيدة يبين الشاعر مدى ما ألم به من أسى وحزن علي غلق الحرمين الشريفين (الحرم المكي والحرم النبوي) إثر تفشي وباء كورونا ، وأكد علي تلك الحالة المأساوية الحزينة بجملة من التعبيرات والصيغ الدالة عليها مثل: (بكت عيني ، سال الدمع ، أضناني البكاء ، جفني قد تقرح ، قلبي قد تمزق ، صدري ضاق) وهي كما نرى تعبيرات توحي بالأسي والحزن الشديد علي ما صار إليه حال هذين الحرمين الشريفين إبّان تفشي وباء كورونا ، ولا غرو في ذلك الأمر وقد فطر الله قلوب عباده المؤمنين علي المحبة والشوق والتلهف لهذين الحرمين الشريفين ، وذلك في قوله تعالي علي لسان خليله إبراهيم – عليه السلام – : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي

زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ". (١)

ومما زاد من هم الشاعر وحزنه غلق مثل تلك الأماكن والبقاع الطاهرة المقدسة وترك ما دونها من أماكن ومواطن اللهو واللعب دون غلق أو حظر ، وهذا ما عبر عنه الشاعر في قوله :

أَيُمْنَعُ بَيْتُ رَبِّي مِنْ صَلَاةٍ وَفِي الْحَفَلَاتِ آلَافٌ تُغَنِّي؟!
عَلَى أَنْغَامِ رَقْصٍ قَدْ تَبَارَوْا وَفِي التَّرْفِيْهِ يَحْلُوْ كُلُّ لَحْنِ

حيث تسأل الشاعر متعجبًا من غلق الحرمين الشريفين في وقت تضج وتزدحم فيه ساحات اللهو والغناء بالمترفين واللاهين دون توقف أو منع ، مستخدما في ذلك أسلوب المفارقة الحالية بين هذين الحالين ، حال غلق الحرمين الشريفين ، وحال فتح ساحات اللهو والغناء واللعب .

ويشير الشاعر في قصيدته إلي وحشية هذا الوباء وشراسته التي لم تفرق بين أحد من ضحاياه بدين أو بسن ، وذلك في قوله :

فَيَحْصُدُ كُلَّ يَوْمٍ رُوْحَ عَبْدٍ وَلَمْ يَأْبَهْ بِدِيْنٍ أَوْ بِسِنِّ
(فَكُوْفِيْدٌ) يَزُوْرُ بِلَا تَوَانٍ بِلَادَ اللهِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنِّ
عِقَابُ اللهِ يَأْتِي لَا يُبَالِي لَعَلَّ الْعَبْدَ لَا يَعْصِي بِدَنِّ

فهو يؤكد علي عموم هذا الوباء وإحاطته بالناس كافة ، دون مراعاة لأهل دين أو لسن ، مؤكدًا علي ذلك بالطباق بين (إنس، وجن) الذي أفاد العموم والشمول للخلق كافة. ويشير كذلك إلي أن هذا الوباء إنما هو عقاب من الله لخلقه لكي يتوبوا إليه ويجتنبوا معاصيه .

ثم يختتم الشاعر قصيدته كعادته في الختام بالدعاء والتضرع إلي الله ـ عز وجل ـ بتفريج هذا الهم وإزاحته عن الخلق والناس كافة .

---

(١) الآية ٣٧ سورة إبراهيم .

الصورة الرابعة

الحديث عن دور الأطباء في مواجهة الوباء

علي الرغم من شدة المعاناة والألم ، والفقد والحرمان التي سببها وباء كورونا في نفوس الناس ، إلا أن هذا الوباء قد أعاد إلي الحياة ترتيب الأولويات ، بعد أن وضع الكثير من الفئات والشرائح المجتمعية كل في موضعه الصحيح اللائق به ، فرأينا في الآونة الأخيرة اختلال الموازين ، واضطراب المقامات بين الناس ، فرُفع السفلة والأراذل من الناس علي الأعناق ، وأشير إليهم بالبنان واللسان ، وصاروا قدوة وبغية للصبية والفتيان ، وغُمط قدر وحق أهل الفضل من الأخيار النابهين من القوم .

وصدق قول القائل : [1]

تمـــوت الأســـد فـــي الغابـــات جوعًـــا ولحـــــم الضـــــأن تأكلـــــه الكـــــلاب

وذو جهـــل ينـــام علـــي حريـــر وذو علـــــم مفارشـــــه التـــــراب

ولكن حينما ظهر هذا الوباء وجثم علي نفوس الناس سواء رأينا أمرًا عجيبًا غريبًا ، رأينا الجميع قد فرّوا هاربين مذعورين ، ونكصوا علي أعقابهم مدبرين ، ولزموا أبراجهم العاتية ، وقصورهم المشيدة ، يرقبون ويتابعون حركة وخبر هذا الوباء المخيف في صمت، وينظرون إليه من طرف خفي. ولم يصمد أو يثبت في تلك المعركة الضارية سوى المخلصين من أصحاب الرداء الأبيض من الأطباء وأطقم التمريض المعاونة ، هؤلاء وحدهم هم الذين تصدوا وواجهوا بأرواحهم وحياتهم هذا الوباء القاتل، بإرادة صلبة ، وعزيمة ماضية ، ولم يفروا من المعركة ، ولم يتخلوا عن رسالتهم السامية ، ولم يتقاعسوا أو يتخاذلوا بحجج أو أعذار مختلقة ، وإنما قبلوا وأقبلوا علي هذا التحدي الجسيم ، بعزيمة وروح المقاتل المثابر ، وهم يعلمون علم اليقين حجم المخاطر والمهالك المحيطة

١) ينظر ديوان الإمام الشافعي ص٥٠

بهم ويأسرهم ، ولكنه شرف العمل ، وشرف العهد والميثاق ، فأصيب منهم من أصيب بعدوى هذا الوباء من المصابين والمرضي ، وسقط منهم من سقط في عداد الضحايا والشهداء ، لتلقى الحقيقة الناصعة الواضحة أنهم وحدهم كانوا هم رجال المرحلة ، وأبطال تلك الأزمة ، الذين سطروا ببطولاتهم وتضحياتهم ملحمة من العطاء والإيثار والفداء ، شهد لهم بها الجميع بلا استثناء ، والله من فوقهم خير الشاهدين .

وتفاعل شاعرنا الدكتور " محمد غزاوي " مع تلك المواقف البطولية للأطباء ، والملحمة الكبيرة لهؤلاء الأبطال ، وسجل لهم بشعره وفنه شهادة صادقة وناطقة من التكريم والتقدير لهم ، ثمّن فيها دورهم وكفاحهم المجيد قائلًا: (١)

قُمْ يَا طَبِيْبُ فَسَاحُنَا تَتَنَظَّرُ ... وَالْآهُ مِنْ آمَاقِنَا تَتَحَدَّرُ

وَالْكُلُّ قَدْ تَرَكَ الْمَعَارِكَ هَارِبًا ... لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ صَامِدًا لَا يُقْهَرُ

ذَهَبَ الْمُطَبِّلُ وَالْمُهَرِّجُ خَاسِئًا ... وَبَقِيْتَ وَحْدَكَ لِلْإِتَاوَةِ تَنْظُرُ

أَيْنَ الَّذِيْنَ بِفُجْرِهِمْ قَدْ أَظْهَرُوْا ... سُوْءَ الْخِلَالِ وَرَقْصُهُمْ لَا يُسْتَرُ؟!

أَيْنَ الَّذِيْنَ تَمَايَلُوْا رَغْمَ الْوَبَا ... أَيْنَ الَّذِيْنَ بِفِسْقِهِمْ قَدْ أَنْشَرُوْا؟!

أَيْنَ الَّذِيْنَ بِمَالِهِمْ قَدْ فَاخَرُوْا ... وَبِكُلِّ تِيْهِ الْفَاسِدِيْنَ قَدِ انْبَرَوْا؟!

أَيْنَاهُمُوْ فِي ظِلِّ دَاءٍ عَابِثٍ ... حَصَدَ النُّفُوْسَ وَكُلُّ رُوْحٍ تَقْطُرُ؟!

فَرُّوْا كَجُرْذَانِ السَّفِيْنِ وَغَادَرُوْا ... سَوْءَاتُهُمْ تَبْدُوْ هُنَالِكَ تَعْبُرُ

يَا وَيْحَهُمْ فَالْجُبْنُ فِيْهِمْ آيَةٌ ... وَالْفَرُّ لَفْظٌ مِنْهُمُو يَتَبَعْثَرُ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعِلْمُ يَحْيَا وَحْدَهُ ... وَاللهُ يَحْفَظُ وَالْعِنَايَةُ تَقْدِرُ

(١) الديوان: ٤٨

قُـمْ يَـا بَطَـلْ وَانْفُـضْ غُبَـارَ أَجِنَّـةٍ عَاشُـوْا سَـبَايَا ذِلَّـةٍ تَتَبَخْتَـرُ
قُـمْ أَنْـتَ وَحْـدَكَ تَسْـتَطِيْعُ شِـفَاءَنَا لَا شَـيْءَ غَيْـرُكَ فِـي الْمَبَـاءَةِ يَظْهَـرُ
قُـمْ أَنْـتَ وَحْـدَكَ تَسْـتَطِيْعُ رُوَاءَنَـا فَـالْأَرْضُ عَطْشَـى وَالْمَـدَامِعُ تَهْـدِرُ
خَفِّـفْ أَنِـيْنَ الْمُتْعَبِـيْنَ وَسُـقْمَهُمْ فَـالْحُزْنُ يَـنْهَشُ فِـي النُّفُـوْسِ وَيَجْهَـرُ
دَعْ كُـلَّ قَـوْلٍ عَابِـثٍ وَخَدِيْعَـةٍ وَانْفُـضْ غُبَـارَ النَّـوْمِ أَنْـتَ الْأَقْـدَرُ
لَا تَلْتَفِـتْ لِلْبَائِسِـيْنَ وَفِعْلِهِـمْ فَسَـنَا ضِـيَائِكَ لِلـدَّيَاجِي يُقْمِـرُ

نظم الشاعر هذه القصيدة كما ذكر عقب مشاهدته صورًا علي الفضائيات التلفزيونية لعشرات من الأطباء المخلصين وهم مجهدون ومنهكون من آثار العمل المتواصل لإنقاذ المرضى والمصابين بهذا الوباء .

والصورة الفضائية كما نعلم صورة ثابتة وصامتة ، تكشف عن ملمح واحد أو مشهد جزئي بسيط من مشاهد وأبعاد تلك الأزمة الكبيرة الواسعة .

لكن الصورة الشعرية والفنية المعبرة التي رسمها الشاعر لهؤلاء الأبطال ومعاونيهم هي صورة متكاملة ، نابضة بالحس والحركة والحياة ، ناطقة بالحقائق والأسرار ، شاملة وعامة لكافة ملامح وأبعاد تلك الأزمة الوبائية العالمية .

حيث كثّف الشاعر من الحديث عن أبعاد وجزئيات المشهد الخفي عنا ، وإن كانت الصورة التليفزيونية قد أظهرت وكشفت عن حالة الإعياء والإجهاد التي عليها الأطباء الأبطال فإن صورة الشاعر علي النقيض من ذلك تماما ، حيث صنعت مفارقة حالية وبطولية ، أظهرت ملامح البطولة والإقدام والتضحيات التي قام بها هؤلاء الأبطال ، غير خائفين ولا مبالين بتبعات وعواقب هذا الوباء القاتل ، من أجل إسعاف المصابين والمبتلين به .

وبرع الشاعر في إظهار الفارق الكبير بين دور الطبيب المقاتل المثابر ودور غيره ممن لا يجيدون أو يعرفون سوى التطبيل والخداع والإفساد ، وذلك في قوله :

ذَهَــبَ الْمُطَبِّــلُ وَالْمُهَــرِّجُ خَاسِــئًا وَبَقِيْــتَ وَحْــدَكَ لِلْإِبَــاوَةِ تَنْظُــرُ

حيث جمع في هذا البيت بين المقابلة اللفظية بين (ذهب المطبل والمعرج) وبين (وبقيت وحدك) ، وبين المفارقة الحالية التي أظهرت مدى ثبات هؤلاء الأبطال وصمودهم في المعركة مع هذا الوباء ، وفرار واختفاء غيرهم ممن صدعونا وأفسدوا حياتنا بهرائهم وفساد أخلاقهم وأعمالهم .

ثم زاد الشاعر من تقريعه وتوبيخه لهؤلاء الفارين المستترين خلف أموالهم فأتى بجملة من صيغ الإنشاء التي حملتها صور الاستفهام التالية : (أين الذين بفجرهم ، أين الذين تمايلوا ، أين الذين بفسقهم ، أين الذين بمالهم ،أين هم في ظل داء عابث) ، وقد أفادت تلك الاستفهامات المتكررة شدة التقريع والتوبيخ لهم ، ولموقفهم المخزي المهين بعد أن فضحهم هذا الوباء وكشف خزيهم وصغارهم المبين .

وأبدع الشاعر أيما إبداع في تصوير مدى خسة وخزي هؤلاء الهاربين بقوله :

فَــرُّوْا كَجُــرْذَانِ السَّــفِيْنِ وَغَــادَرُوْا سَــوْءَاتُهُمْ تَبْــدُوْ هُنَالِــكَ تَعْبُــرُ

حيث شبه فرارهم ونكوصهم المخزي ساعة المحنة والشدة بالفئران المذعورة الخائفة، وبرع الشاعر في اختيار جنس المشبه به من الفئران دون غيرها وذلك لما لهذا النوع من الحيوانات من خسة ومهانة ، وكذلك لما له من أثر الإفساد والتخريب للمكان الذي يعيش فيه ، وهذا هو حال هؤلاء الفارين الذين أفسدوا حياة الناس وأفسدوا أخلاقهم بأعمالهم المخزية المفسدة .

ثم أعقب ذلك بجملة من الأوامر الطلبية الموجهة للأطباء الأبطال في تلك المعركة وهي: (قُمْ يَا بَطَلْ وَانْفُضْ ، قُمْ أَنْتَ وَحْدَكَ ، خفف ، ودع ، وانفض) والتي أكد بها

الشاعر علي شدة الاستنجاد والاستصراخ لهؤلاء الأبطال و الأساطير الحقيقية والاستغاثة والاستعانة بهم في تلك المحنة القاسية .

وفي قصيدة أخري مشابهة للقصيدة السابقة يكشف من خلالها الشاعر عن دور الطبيب البطل في تلك الأزمة ، مظهرًا دوره وفضله ومكانته السامقة المرجوة عن مكانة غيره من أصاغر الناس وأراذل المجتمع ، يقول فيها : (١)

قُـــمْ يَـــا بَطَـــلْ لَا تَنْهَـــزِمْ ... قُـــمْ شَـــامِخًا مِثْـــلَ الشَّـــمَمْ

قُـــمْ يَـــا بَطَـــلْ أَنْـــتَ الْمُنَـــى ... فَـــالْعَجْزُ يَهْـــوِي بِـــالْأُمَمْ

قُـــمْ يَـــا بَطَـــلْ أَنْـــتَ الْفِـــدَا ... أَنْـــتَ الْأَمَـــانُ لِكُـــلِّ هَـــدْمْ

قُـــمْ يَـــا بَطَـــلْ وَاشْـــفِ الْأُلَـــى ... فَـــالْآهُ جَابَـــتْ وَالْهَـــرَمْ

قُـــمْ يَـــا بَطَـــلْ لَا تَحْـــنِ هَـــا ... مَـــا فَالرِّيَـــادَةُ تُسْـــتَلَمْ

فَالْكُـــلُّ فَـــرَّ مُوَلِّيًـــا ... لَـــمْ يَبْـــقَ غَيْـــرُكَ فِـــي الـــدِّيَمْ

فَـــانْسَ الَّـــذِيْنَ تَكَاسَـــلُوْا ... وَانْـــسَ الْخِيَانَـــةَ وَالْـــبُهُمْ

وَانْـــسَ الَّـــذِيْنَ بِمَـــالِهِمْ ... قَـــدْ شَـــيَّدُوْا كُـــلَّ الْعَـــدَمْ

رَاحَ الْمُغَنِّـــي خَاسِـــئًا ... لَـــمْ يَخْـــلُ مِـــنْ عَـــابٍ وَذَمْ

رَاحَ الْمُمَثِّـــلُ رَاحِـــلًا ... يَطْـــوِي الْخِيَانَـــةَ وَالصَّـــمَمْ

أَيْـــنَ السِّيَاسَـــةُ وَالْـــوِزَا ... رَةُ كُـــلُّ ذَلِـــكَ مُـــتَّهَمْ

رَاحَ الْجَمِيْـــعُ وَغَـــادَرُوْا ... وَالْجُـــرْذُ مِـــنْهُمْ يَبْتَسِـــمْ

يَـــا ذَا الـــرِّدَاءِ الْأَبْـــيَضِ ... قَـــدْ عَـــمَّ فِـــي الـــدُّنْيَا الْأَلَـــمْ

(١) الديوان ص ٨١

فَـــــاللهُ قَـــــدَّرَ ذَا الْوَبَـــــا وَالْجُـــــرْحُ مِـــــنْكُمْ يَلْتَـــــئِمْ

فَـــــانْزَعْ غِشَـــــاوَةَ نَوْمِنَـــــا وَاغْفِـــــرْ حَقَـــــارَةَ مَـــــنْ وَهِـــــمْ

لَا تَبْتَـــــئِسْ مِـــــنْ جَاهِـــــلٍ قَـــــدْ كَـــــانَ يَرْتَـــــعُ فِـــــي الـــــنِّعَمْ

(فَبِفَيْـــــرَسٍ) حُـــــزْتُمْ لَنَـــــا كُـــــلَّ الْفَضَـــــائِلِ وَالْهِمَـــــم

فَـــــالْعِلْمُ يُحْيِـــــي أُمَّـــــةً تَاهَـــــتْ وَفِـــــي بَحْـــــرٍ خِضَـــــمْ

وَالطِّـــــبُّ مَوْئِـــــلُ أَمْرِنَـــــا وَاللهُ يَبْـــــرِيْ مِـــــنْ سَقَـــــمْ

قَـــدْ خَـــابَ شَـــعْبٌ فِـــي الـــدُّنَى جَهِـــلَ الطَّبِيْـــبَ أَوِ الْقَلَـــمْ

أشاد الشاعر في هذه القصيدة بمكانة الطبيب ودوره الفاعل والنافع في مواجهة تلك الأزمة الوبائية الكبيرة ، التي ظلّ هو وحده بطلها وقاهرها ، بعد أن انكشفت الأقنعة وسقطت من فوق الوجوه الكاذبة الخادعة ، وفرّ أصحابها هاربين مذعورين من الوباء .

وأفصح الشاعر في تلك القصيدة عن بعض تلك الفئات والطبقات المجتمعية الخادعة الكاذبة ، التي كان أصحابها بالأمس القريب يشار إليهم بالبنان ، وينعتون بالأبطال والأساطير خداعًا وكذبًا ، وفي أثناء تلك الأزمة واستشراء خطرها لا وجود ولا صوت لهم ، بعد أن لاذوا بجحورهم ، وتواروا خلف أموالهم وألقابهم المزيفة ، ومن هؤلاء : (المغني ، والممثل ، وأرباب السياسة والوزارة) ، ولم يصمد ولم يبق في المعركة سوى الأبطال من أصحاب الرداء الأبيض من الأطباء الشرفاء ، والممرضين المخلصين ، الذين أصبحوا هم محط الآمال والأفئدة للنجاة والخلاص من هذا الوباء القاتل ، وقد أكد الشاعر علي سوء موقف أصحاب المهن المخزية السابقة بالتعبير بصيغتي الماضي (راح المغني ، وراح الممثل) ؛ وذلك للدلالة والتأكيد علي انتهاء دورهم الهابط الفاسد ، وذهاب أيامهم الخادعة الزائفة .

ثم التعبير بالاستفهام الإنشائي في قوله: (أين السياسة والوزارة ؟) مشيرًا بذلك إلي التهوين والتحقير من دور وشأن الكبار من أهل السياسة والوزارة الذين لا يملكون في تلك الأزمة سوى اتخاذ القرارات والإجراءات خلف الشاشات والأقنعة.

وكرر الشاعر في قصيدته الأمر الإنشائي (قم) الذي خاطب به الطبيب أكثر من ست مرات متتالية ، مشيرًا بذلك التكرار إلي مدى الحاجة الماسة والضرورة الملحة إلي جهد هؤلاء الأبطال المثابرين ، والإفادة من علمهم وخبرتهم في معالجة المرضي والمصابين بهذا الوباء .

ثم يختتم الشاعر قصيدته بالتنويه والتذكير بفضل العلم ومكانة العلماء في بناء الأمة واستقرار المجتمع وسلامته ، مشيرًا بذلك إلي أهمية استغلال تلك الأزمة والإفادة منها ، وإعادة ترتيب وتقديم الأوليات والاهتمامات في الحياة ، وفي مقدمة تلك الأولويات والضروريات الاهتمام بالعلم وأهله ، وإنزالهم المنزلة السامقة اللائقة بهم وبدورهم النافع للبلاد والعباد .

الصورة الخامسة

رثاء الضحايا والشهداء

حصد وباء الكورونا بوحشيته وشراسته أرواح العديد من الضحايا والشهداء الذين تعرضوا لإصابة بهذا الوباء القاتل ، ولم يستطيعوا أن يصمدوا أو يقاوموا آلامه وأضراره الحادة الأليمة .

فما من يوم يمر علينا إلا ونطالع في أخبار هذا الوباء ارتفاع أعداد الضحايا والشهداء الذين قضوا نحبهم به ، وتفجعنا الأخبار اليومية عبر الشاشات ووسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت كسرداق عزائي كبير مفتوح ، يتبادل الناس فيه العزاء والمواساة في فجيعة لصديق ، أو حبيب، أو قريب، أو زميل ، حيث توشحت تلك الصفحات الاجتماعية بالسواد والحداد علي رحيل الأحبة والأصدقاء جراء الإصابة بهذا الوباء الوحشي القاتل .

وزاد من قتامة المشهد وقسوته علي نفوس الناس صعوبة حضور الأهل والأحباب مراسم دفن وتشييع جثامين الموتى من الضحايا والشهداء ، أو حتى الصلاة عليهم ، ووداعهم الوداع الأخير ، وذلك لظروف الحظر ومنع الصلوات في المساجد ، أو إقامة مراسم العزاء والدفن لهم .

وذرف الجميع الدموع ، وسكبوا العبرات والآهات ، حزنًا وتفجعًا علي رحيل هؤلاء الشهداء ، ممن يعرفونهم أو لا يعرفونهم علي السواء ، وذلك لوحدة المشهد الإنساني والمأساوي الحزين الذي سيطر وخيّم علي الناس كافة .

وكان لشاعرنا " محمد غزاوي " حزنه الخاص ، ورثاؤه المميز للضحايا والشهداء من هذا الوباء ؛ ذلك لأنه كما نعلم قد تعرض للإصابة بهذا الوباء ، وتجرّع آلامه ومرارته ، وعالج شدته وغصّته ، فكان يرى الموت كل حين أمام عينيه ، يطرق عليه

بابه، ثم يوليه دبره منصرفًا عنه ، متحيزًا إلي غيره ، فرثاء من كان هذا حاله لغيره من الضحايا لهو أصدق أنواع الرثاء ، وأقربه إلي صدق الواقع والحال .

وما كان لنفس شاعرنا محمد غزاوي الشفافة المرهفة التي تفاعلت وتجاوبت مع مشاهد وأبعاد مأساة كورونا بكل تفاصيلها ومظاهرها المتعددة أن تمر علي المشهد المأساوي الأخير الأكثر والأشد أسى وتفجعا وهو مصيبة الموت مرور الكرام دون أن يكون لها فيه نصيب من البكاء والرثاء ، حتى تكتمل بذلك في شعره تلك اللوحة الفنية البارعة التي رسمها الشاعر لهذا الوباء الوحشي القاتل ، وما خلّفه في دنيا الناس من آثار وأضرار .

ولشاعرنا " محمد غزاوي " موقفان مع رثاء وبكاء ضحايا وشهداء كورونا : أحدها : رثاء زميل له يعمل معه في مجال التدريس الجامعي في كلية دار العلوم بجامعة المنيا ، وهو الدكتور " عبد الهادي " – رحمه الله – الذي قد تعرض للإصابة بهذا الوباء وهو في ريعان شبابه ، وقضي نحبه متأثرًا بهذا الوباء ، فبكاه الدكتور " محمد غزاوي " ورثاه رثاءً حارًا في بكائيته التي يقول فيها : [1]

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ ... وَفَاضَ الدَّمْعُ وانْسَكَبَتْ دِمَاءُ

بَكَتْ عَيْنِي عَلَى عَلَمٍ تَوَلَّى ... وَرَاحَ الْحُلْمُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

بَكَتْ عَيْنِي عَلَى وُدِّ اللَّيَالِي ... وَمَحْبُوْبٍ يُكَالُ لَهُ الثَّنَاءُ

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَغَاضَ الْبَحْرُ وَانْصَدَعَ الْبِنَاءُ

بَكَيْتُ وَلَا سَبِيْلَ سِوَى بُكَايَ ... فَلَا أَمَلٌ فَقَدْ شُقَّ الرِّدَاءُ

فَقَلْبِي لَيْسَ يَقْوَى بِانْتِزَاحٍ ... وَعَمَّ الْحُزْنُ وَانْطَفَأَ السَّنَاءُ

وَصَدْرِي ضَاقَ مِنْ أَلَمٍ وَحُزْنٍ ... وَطَمَّ الْهَمُّ وَانْدَرَسَ اللِّوَاءُ

---

١) الديوان ص ١٧

عَلَــى خُلُــقٍ عَلَــى أَدَبٍ تَــوَارَى عَلَــى رَجُــلٍ لَــهُ فَضْــلٌ عَطَــاءُ
عَلَــى كُــلِّ الْمَعَــانِي قَــدْ تَهَــاوَتْ وَقُــلْ مَــا شِـئْتَ قَـدْ غَـابَ الضِّـيَاءُ
فَيَــا قَبْــرًا ظَفِــرْتَ بِخَيْــرِ صِــدْقٍ فَخَفِّــفْ وَطْــأَةً جَــاءَ الْوَفَــاءُ
حَبِيْــبٌ لَا تَــرَاهُ يَقُــوْل عَيْبًــا وَآيَــةُ حُسْــنِهِ ذَاكَ الصَّــفَاءُ
وَحَبْــرٌ فِــي مُدَارَسَــةٍ وَعِلْــمٍ يَجُــوْبُ الْأُفْــقَ يَحْــدُوْهُ الثَّنَــاءُ
فَيَــا رَبَّــاهُ صَــبِّرْنَا وَأَنْعِــمْ عَلَيْنَــا بِالسُّــلُوِّ كَمَــا نَشَــاءُ
وَصُــبَّ عَلَــى بَنِيْــهِ الصَّــبْرَ صَــبًّا وَهَدْهِــدْ زَوْجَــةً أَنْــتَ الرَّجَــاءُ
سَــأَبْكِي مَــا حَيِيْــتُ بِــدَمْعِ عَيْنِــي فَــنِعْمَ الْخِــلُّ رَاحَ وَلَا كِفَــاءُ
وَكُــلُّ الْكَــوْنِ بَكَّــاءٌ عَلَيْــهِ وَطِــرْسٌ وَالْمِــدَادُ كَــذَاكَ رَاءُ
وَنَجْــمٌ وَالْكَوَاكِــبُ وَالسَّــوَاقِي وَأُسْــدُ الْغَــابِ تَبْكِــي وَالسَّــمَاءُ
سَــتَبْكِيْكَ السَّــنَابِلُ وَالْأَقَــاحِي وَجَنَّــةُ وَارِفٌ وَكَــذَا الظِّبَــاءُ
وَتَبْكِيْــكَ الْمَسَــاجِدُ وَالْمَعَــالِي وَآيَــةُ مُصْــحَفٍ وَحْــيٌ شِــفَاءُ
وَتَبْكِيْــكَ الْقَصَــائِدُ وَالْمُعَلَّــى وَبَحْــرٌ وَافِــرٌ هَمْــزٌ رَوَاءُ

تكشف لنا هذه المرثية والبكائية الحارة الصادقة عن مدى علاقة المحبة والصدق والود التي تربط الشاعر بصديقه وزميله الراحل ، والتي أظهرت شدة تفجعه ومصابه الأليم بفقدان زميله الراحل .

وأبان الشاعر في مرثيته عن جملة من المآثر والمحامد والفضائل التي كان يتحلى بها زميله الراحل من العلم ، والحلم ، والود ، وحسن الثناء من الناس عليه ، ودماثة

خلقه ، وحسن أدبه ، وسعة فضله ، وعلي مثل هذا الراحل فليبكي الباكون ، وليذرف النائحون علي فراقه الدموع والعبرات .

وعلي طريقة القدماء في الرثاء يستخدم الشاعر ثوب التشخيص في ندائه لقبر زميله الراحل ، ويطلب منه الحنو والترفق عليه قائلاً :

فَيَا قَبْرًا ظَفِرْتَ بِخَيْرِ صِدْقٍ فَخَفِّفْ وَطْأَةً جَاءَ الْوَفَاءُ

وفي ذك إشارة إلي تفاعل القبر وتأثيره علي الموتى إما بالحنو عليهم والرفق بهم ، وإما بالشدة والغلظة عليهم ، وقد أشار النبي – صلي الله عليه وسلم – إلي هذا المعني في قوله : " لَوْ كَانَ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا هَذَا الصَّبِيُّ " (١) .

ثم يستدعي الشاعر في مرثيته الطبيعة من حوله بكل مظاهرها وصورها الصامتة والصائتة من النجوم والكواكب والسواقي وأسد الغاب والسماء وذلك لتشاركه البكاء والنوح علي صديقه الراحل ، وفي ذلك إشارة إلي تفاعل الكون والطبيعة وتأثرها بموت الصالحين المتقين ، وقد أكد القرآن الكريم علي هذه الحقيقة حينما نفي بكاء السماء والأرض علي الكافرين وذلك في قوله تعالي : " فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ " (٢).

وفي النفي عنهم إثبات لهذا لأمر وتحققه في شأن المؤمنين المتقين . وأكّد النبي الكريم – صلي الله عليه وسلم – علي ذلك الأمر في قوله الشريف : " إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ بَكَى عَلَيْهِ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ، وَبَابُهُ مِنَ السَّمَاءِ " (٣) .

(١) المعجم الأوسط أبو القاسم الطبراني تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين – القاهرة ٣ / ١٤٦ .

(٢) سورة الدخان الآية ٢٩ .

(٣) تعظيم قدر الصلاة محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ ١ / ٣٣٤ .

وحينما يلتهم ويفترس هذا الوباء الوحشي القاتل أجساد الأطباء الشرفاء الذين تتعلق عليهم الآمال والدعوات في تلك الأزمة للقضاء علي هذا الفيروس القاتل وإبادته فإن الفجيعة تكون أشد وطئًا ، وأقسى مرارة وألمًا علي النفوس والقلوب ؛ ذلك لأننا نكون بذلك قد فقدنا السلاح الذي نقاوم به ، والأمل الذي نستمسك به في تلك المعركة الشرسة ، وهذا ما حدث مع رحيل واستشهاد الفارس المغوار والطبيب الجسور الدكتور " أحمد اللواح " – رحمه الله تعالي – ، ذلكم الطبيب الوفي المخلص لعمله ، الذي لم يتوان ولم يترك موقعه لحظة واحدة في معركته مع الوباء ، وظل يداوي ويعالج المرضي والمصابين بهذا الوباء عن قرب ومخالطة ، حتى انتقلت إليه العدوي ، واستشرى الداء والوباء العضال بجسده ، وظلّ بضعة أيام يقاوم بإيمانه وثباته وحشية هذا الوباء وشدته ، إلي أن تمكن الوباء منه ، ونشب مخالبه القاتلة في جسده المنهك ، وعظامه النخرة ، حتي قضى نحبه ، ولقي ربه صابرًا محتسبًا ، فسلام عليه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

وكان لصدمة وفاته ووقع استشهاده صدى واسع ، وأثر بالغ في العالم كله ، وتفاعل الجميع مع تلك المصيبة المفجعة بالبكاء والنحيب ، وكان لشاعرنا " محمد غزاوي " وقفته الرثائية الخاصة ، وبكائه الحار علي هذا الطبيب ، وهذا هو الموقف الآخر من مواقف رثاء الشاعر لضحايا وشهداء وباء كورونا ، فنظم الشاعر مرثية وفاء وبكاء عليه قائلًا : [1]

ثَبُتَ الطَّبِيْبُ بِقُوَّةٍ لَا تُقْهَرُ ... وَالْكُلُّ أَحْنَى رَأْسَهُ وَتَقَهْقَرُوْا

قَدْ أَدْرَكَ الْأَمْرَاضَ تَمْحَقُ بِالْأُلَى ... فَتَرَاهُ شَمَّرَ سَاعِدًا يَتَبَخْتَرُ

قَدْ صَافَحَ الْأَوْلَادَ يَنْظُرُ بَاسِمًا ... وَالزَّوْجُ تَهْمِسُ بِالْمَخَاطِرِ تَشْعُرُ

فَلَرُبَّمَا كَانَتْ تَرُوْمُ جُلُوْسَهُ ... وَالْخَوْفُ مِنْ أَعْمَاقِهَا يَتَحَدَّرُ

(١) الديوان ص ٥٠

لَكِنَّهَـــا تَرَكَتْـــهُ يَنْـــزِلُ بَعْـــدَمَا ... قَـــرَأَتْ عَلَيْـــهِ مَثَانِيًـــا وَتُكَـــرِّرُ

نَظَـــرَ (اللَّـــوَاحُ) إِلَـــيْهِمُ مُتَفَـــاخِرَا ... فَالْوَقْـــتُ دَاهَـــمَ وَالْمَشَـــافِي تُنْـــذِرُ

تَـــرَكَ الْعِيَـــالَ لِـــرَبِّهِمْ فِـــي مَـــأْمَنٍ ... فَـــاللهُ يَحْفَـــظُ وَالْعِنَايَـــةُ تُنْشَـــرُ

مَـــا كَـــانَ يَوْمًـــا طَالِبًـــا لِمَنَاصِـــبٍ ... فَالْجَـــاهُ فِـــي عِطْفَيْـــهِ عِلْـــمٌ يُنْـــذِرُ

وَالْمَـــالُ آخِـــرُ مَـــا يَـــرُوْمُ حَقِيْقَـــةً ... إِنَ الْحَيَـــاةَ لَدَيْـــهِ سِـــرٌّ يَظْهَـــرُ

فَالطِّـــبُّ مِهْنَتُـــهُ يُـــدَاوِي سُـــقْمَنَا ... وَذَوُوْ الْجَهَالَـــةِ فِـــي السَّـــفَاهَةِ يَعْبُـــرُ

وَصَـــلَ (اللَّـــوَاحُ) إِلَـــى الْعِيَـــادَةِ عَارِفًـــا ... أَنَّ (الْكُرُوْنَـــا) تُغْـــدِي بَـــلْ هِـــيَ تُنْشَـــرُ

وَصَـــلَ (اللَّـــوَاحُ) بِكُـــلِّ نَـــبْضٍ عِنْـــدَهُ ... يَرْنُـــو إِلَـــى تَخْفِيْـــفِ سُـــقْمٍ يَظْهَـــرُ

لَـــمْ يَـــدْرِ أَنَّ الْمَـــوْتَ فِـــي إِتْيَانِـــهِ ... وَلَـــرُبَّ مَـــوْتٍ لِلْأَطِبَّـــةِ يَجْهَـــرُ

لَـــبِسَ (الْكِمَامَـــةَ) وَ(الْمُطَهِّـــرَ) حَـــاذِرًا ... لَكِنَّـــهُ بِـــاللَّمْسِ بَـــاتَ يُخَبِّـــرُ

قَـــدْ خَـــالَطَ الْمَرْضَـــى يُـــدَاوِي جُـــرْحَهُمْ ... وَاللهُ يَقْضِـــي لِلْأَنَـــامِ وَيَقْـــدِرُ

وَفُجَـــاءَةً وَالْبَـــرْدُ يُـــوْذِي جِسْـــمَهُ ... وَسُـــعَالُهُ وَالْحُمَّـــى مِنْـــهُ تُغَيِّـــرُ

يَوْمَـــانِ وَالْأَسْـــقَامُ تَـــنْهَشُ لَا تَنِـــي ... وَالـــدَّاءُ يَـــأْوِي وَ(الْكُرُوْنَـــا) تَعْصِـــرُ

مَـــاتَ الشَّـــهِيْدُ وَكُـــلُّ أَطْفَـــالٍ لَـــهُ ... قَـــدْ خَـــالَطُوْهُ وَزَوْجُـــهُ تَتَحَيَّـــرُ

مَـــاتَ الشَّـــهِيْدُ وَدَمْعُنَـــا مَـــاءٌ جَـــرَى ... وَالْآهُ مِـــنْ أَكْبَادِنَـــا تَتَبَعْثَـــرُ

مَـــاتَ الشَّـــهِيْدُ وَرُوْحُـــهُ فِـــي دَرْبِنَـــا ... وَسِـــجِلُّهُ سَـــيَظَلُّ أَرْوَعَ يَعْطِـــرُ

وَيَلُـــوْحُ فِـــي الْآفَـــاقِ يَبْقَـــى خَالِـــدًا ... أُسْـــطُوْرَةً فِـــي الْبَـــذْلِ تَحْيَـــا تُثْمِـــرُ

نَـــمْ فِـــي رُبَـــى عَـــدْنٍ فَأَنْـــتَ أَمِيْرُنَـــا ... وَالنَّـــاسُ دُوْنَـــكَ فِـــي الـــدُّنَى لَا تُـــذْكَرُ

صنع الشاعر في هذه اللوحة الفنية البكائية البارعة قصة شعرية بطولية ومأساوية ، تحكي بطولة وإقدام هذا الطبيب الجسور المغوار ، الذي لم يروعه خطر الوباء ، ولم ينل من مبادئه ولا من أخلاقه المهنية شيئا ، فراح يؤدي رسالته ومهنته الشريفة في إنقاذ المرضي وإسعاف المصابين بأمانة وإخلاص ، ولم يفر من المعركة كما فعل غيره من الخائفين المذعورين ، وراح ينازل هذا الوباء مرات ومرات ، وينقذ من بين براثنه ومخالبه الوحشية العديد من المصابين والمرضي الذين كانوا علي مشارف الموت والهلاك ، إلي أن تمكن منه هذا الوباء واستشهد به .

ويكشف الشاعر في هذه المرثية الصادقة عن مدي إخلاص هذا الطبيب وتفانيه في عمله ، وعدم اكتراثه بالسعي وراء التربح ونيل الجاه من وراء مهنته ، بقدر ما كان يشغله الهم بمداوة المرضي وإسعافهم .

ثم يتطرق الشاعر إلي تصوير موقف وداع الطبيب الحبيب لأهله قائلًا :

قَدْ أَدْرَكَ الْأَمْرَاضَ تَمْحَقُ بِالْأُلَى ... فَتَرَاهُ شَمَّر سَاعِدًا يَتَبَخْتَرُ

قَدْ صَافَحَ الْأَوْلَادَ يَنْظُرُ بَاسِمًا ... وَالزَّوْجُ تَهْمِسُ بِالْمَخَاطِرِ تَشْعُرُ

فَلَرُبَّمَا كَانَتْ تَرُوْمُ جُلُوْسَهُ ... وَالْخَوْفُ مِنْ أَعْمَاقِهَا يَتَحَدَّرُ

لَكِنَّهَا تَرَكَتْهُ يَنْزِلُ بَعْدَمَا ... قَرَأَتْ عَلَيْهِ مَثَانِيًا وَتُكَرِّرُ

نَظَرَ (اللَّوَاحُ) إِلَيْهِمُ مُتَفَاخِرَا ... فَالْوَقْتُ دَاهَمَ وَالْمَشَافِي تُنْذِرُ

تَرَكَ الْعِيَالَ لِرَبِّهِمْ فِي مَأْمَنٍ ... فَاللهُ يَحْفَظُ وَالْعِنَايَةُ تُنْشَرُ

وفي تلك اللوحة الفنية البارعة تمتزج وتختلط مشاعر الود والمحبة من الطبيب الوالد والزوج مع مشاعر الخوف والقلق من الزوجة والأبناء القلقين الخائفين علي والدهم ، حيث ودع الطبيب أهله مبتسمًا مفتخرًا بعمله ورسالته السامية رغم المخاطر

والأضرار ، ولم يأبه ولم تغير وجهته مشاعر الزوجة الخائفة والحريصة عليه التي راحت ترقيه وتحصنه بالسبع المثاني من القرآن العظيم .

وحرص الشاعر علي إظهار مدى حيطة الطبيب وحذره وأخذه بكافة أسباب وإجراءات الوقاية الصحية وذلك في قوله :

وَصَلَ (اللَّوَاحُ) بِكُلِّ نَبْضٍ عِنْدَهُ أَنَّ (الْكُرُوْنَا) تُعْدِي بَلْ هِيَ تُنْشَرُ

لَبِسَ (الْكِمَامَةَ) وَ(الْمُطَهِّرَ) حَاذِرًا لَكِنَّهُ بِاللَّمْسِ بَاتَ يُخَبِّرُ

قَدْ خَالَطَ الْمَرْضَى يُدَاوِي جُرْحَهُمْ وَاللهُ يَقْضِي لِلْأَنَامِ وَيَقْدِرُ

حيث بين في هذا المشهد مدى حرص الطبيب وفطنته بمدى خطورة هذا الوباء وسرعة عدواه ، فكان حريصًا علي ارتداء الكمامة وأدوات التنظيف والوقاية ، أثناء وعقب مداوة المرضي وعلاج المصابين بالوباء ، فهو ليس بالمتهور أو المتسرع ، الذي لا يعبأ بالخطر، ولا يأخذ بالأسباب ، ولكنها إرادة الله النافذة ، وقدره الحكيم الرحيم الذي لا يمنعه حذر ، ولا يرده دواء .

ويذكر الشاعر بعضًا من الأعراض والآثار المرضية الأليمة التي بدت عليه قبل موته نلحظ ذلك في مفرداته: (البرد ، السعال ، الحمى) وتلك هي الأعراض والآثار المرضية التي تظهر علي المصاب بهذا الداء العضال .

ثم يختم قصيدته كما هو معتاد في الختام بالدعاء للطبيب الشهيد ، والثناء عليه وعلي ذكره الطيب الباقي له بعد الممات .

وبعد فقد استطاع الشاعر الدكتور " محمد غزاوي " بشعره أن يصور لنا لوحة فنية بارعة ، متكاملة الأبعاد والمشاهد والروئ لهذا الوباء العصري الأليم ، بيّن فيها بداية ظهور هذا الوباء في الحياة ، ثم انتشاره واستشرائه في الأرض ، ثم تعرضه هو نفسه للإصابة به ، وانعكاسات تلك الإصابة علي نفسه وحياته ، ثم اتجه إلي تصوير الواقع الخارجي والمجتمعي للحياة من حوله ، وأثر الوباء فيمن حوله من حياة وأحياء وقد

أعطى كل مشهد من مشاهد تلك اللوحة الفنية حقه من البيان والتقريب والوضوح ، ساعده علي ذلك صدق الواقع والحال الذي عايشه الشاعر وعاصره ، بعد أن خبُر هذا الوباء بنفسه ، وعايش آلامه وأوجاعه ، فكانت تجربته مع الوباء أدمغ دليل وأصدق برهان علي صدق القول وقوة التأثير .

واكتملت مظاهر تلك اللوحة الفنية البارعة بجماليات القول وأساليب البيان الفنية التي اعتمد عليها الشاعر في تصويرها في أجمل حُلّة وأنصع بيان ، وهذا ما سنتعرف عليه في الصفحات التالية حول دراسة الجوانب الفنية والجمالية في شعر الدكتور محمد غزاوي حول وباء كورونا .

الفصل الثالث

الخصائص والسمات الفنية في شعر وباء كورونا

جاءت الصورة الفنية بعناصرها وأشكالها المختلفة في شعر وباء الكورونا عند الدكتور " محمد غزاوي " في ديوانه: (الحب في زمن الكورونا) في غاية الدقة والإبداع والإمتاع الفني والأدبي ، ولا غرو في ذلك ، فنحن إزاء شاعر ملهم مطبوع ، وأديب مصقع أريب ، وكاتب بارع حصيف ، يمتلك ناصية البيان والقول ، وهو بحكم عمله الأكاديمي فهو أستاذ في علوم اللغة وآدابها ، وغواص ماهر في بحر اللغة الواسع المعطاء ، يجيد التقاط الدرر والصدفات الأدبية واللغوية ، ويحسن تنسيقها ورصفها ، ويضفي عليها من المعاني والأفكار والأخيلة والأساليب ما يزيدها جمالا علي جمالها ، وحسنا علي حسنها ، حتى غدت تلك اللوحة الفنية والأدبية في شعره المتعلق بالوباء مكتملة العناصر والأبعاد الفنية والجمالية .

والحديث عن الصورة الفنية في شعر الدكتور " محمد غزاوي " يتناول أربعة عناصر فنية ، وهي (العاطفة ، واللغة والأسلوب ، والخيال ، والوزن والموسيقي) .

العنصر الأول : العاطفة

بدت عاطفة الشاعر " محمد غزاوي " في شعره الكوروني في أسمى وأرقى درجات الصدق والقوة والحيوية والنشاط ، وذلك لانطلاق تلك العاطفة وتفجرها عن تجربة واقعية عاشها الشاعر، ومرّ بها مع هذا الوباء ، واتسمت تجربته الشعرية بصدق الواقع والحال ، هذا الصدق الواقعي الذي انعكس بالإيجاب والقوة والتأثير علي الصدق الفني .

وجاءت عاطفة الشاعر في شعره الكوروني متسمة بالتنوع والاختلاف علي حسب تنوع وتعدد اتجاهات ومظاهر الحديث عن الوباء .

ففي مجال شعر الغزل الذي أبدعه الشاعر إبّان تلك المحنة نلحظ في عاطفة الشاعر أنها عاطفة محب صادق ، وعاشق ولهان ، حتى وهو في أصعب المواقف والمحن والأزمات لا ينسى محبوبته ، ولا ينشغل عنها بألم الوباء ووجعه المبرح ، بل كان يتخذ من حبها وذكرها دواء لدائه ، وراحة لهمه وشقائه ، وهو يكشف عن هذا المسلك في شعره بقوله :

والحب في كل القصائد نغمة ... يطري النفوس وبالطلاوة يعزف

فحينما نستمع إليه في قوله : [1]

رُدِّيْ عَلَيَّ الرُّوْحَ إِنِّي مُدْنَفُ ... وَغَدَوْتُ أَحْيَا فِي قُيُوْدِكِ أَرْسُفُ

وَاللَّيْلَ أَقْبَلَ وَالنُّجُوْمُ تَرَائِبٌ ... وَالسُّهْدُ مِنِّي حَاذِرٌ يَتَعَطَّفُ

فَأَنَا الَّذِي مَا نِمْتُ يَوْمًا لَيْلَةً ... وَالْهَمُّ يَحْيَا فِي الْفُؤَادِ وَيَعْصِفُ

أَشْكُو الْجَوَى وَبِهْجِر وُدِّكِ هَائِمٌ ... وَبِكُلِّ هَمْسٍ مِنْ مَعِيْنِكِ أَغْرِفُ

فَالْعِشْقُ مِنِّي بَحْرُ شَوْقٍ صَاخِبٌ ... أَمْوَاجَهُ بِالْيَأْسِ تَهْدِرُ تَجْرِفُ

(١) الديوان ص ٥٦

مَـــا حِيْلَتِـــي وَالْوَصْـــلُ مِنْـــكِ مُمَنَّـــعٌ ... وَالْهَجْـــرُ فِـــي كُـــلِّ الْقَـــوَافِي يُصَـــرَفُ

وَالْحُـــبُّ فِـــي كُـــلِّ الْقَصَـــائِدِ نَغْمَـــةٌ ... يُطْـــرِي النُّفُـــوْسَ وَبِـــالطَّلاوَةِ يَعْـــزِفُ

لَكِـــنَّ حُبَّـــكِ حَنْظَـــلٌ لَا يَنْثَنِـــي ... يُغْـــرِي فُـــؤَادِي بِالْمَآسِـــي يَرْشُـــفُ

هَـــلْ كَـــانَ ذَنْبِـــي أَنَّنِـــي بِـــكَ تَـــائِمٌ؟! ... أَتْلُـــو الْمَعَـــانِي فِـــي رُبَـــاكَ وَأَوْقَـــفُ

هَـــلْ كَـــانَ ذَنْبِـــي أَنَّ حُبَّـــكَ قَـــاتِلِي؟! ... وَاللهُ يَشْـــــهَدُ وَالْمَـــــلَا وَالْمُصْـــــحَفُ

فَلِمَـــاذَا قَلْبُـــكَ فِـــي الْقَسَـــاوَةِ قَـــدَّ مِـــنْ ... صَـــخْرٌ وَكُـــلُّ وَعُـــوْدُ حُبِّـــكِ تُخْلَـــفُ؟!

فَـــالْعَيْنُ مِنِّـــي بِالـــدُّمُوْعُ هَوَاطِـــلٌ ... وَالْمَـــاءُ مِنْهَـــا جَـــارِفٌ لَا يُوْقَـــفُ

وَبِـــرَغْمِ هَجْـــرِكِ مُهْجَتِـــي أَنْـــتَ الْعُـــلَا ... أَنْـــتَ الْغَزَالَـــةُ وَالْمَهَـــاةُ الْأَهْيَـــفُ

أَنْـــتِ الْحَيَـــاةُ بِحُلْوِهَـــا وَبِمُرِّهَـــا ... أَنْـــتِ النَّعِـــيْمُ وَأَنْـــتِ نَـــارٌ تُوْصَـــفُ

كُـــوْنِي كَمَـــا تُبْـــدِيْنِ حُبُّـــكِ مُلْهِمِـــي ... الْحَـــقُّ أَنْـــتِ وَغَيْـــرُ حُبُّـــكِ زَائِـــفُ

سَـــأَظَلُّ أَنْظِـــمُ فِيْـــكِ أَحْلَـــى قَصَـــائِدِي ... وَبِكُـــلِّ مَعْنًـــى أَسْـــتَظِلُّ وَأَقْطِـــفُ

وَبِكُـــلِّ طِـــرْسٍ فِيْـــكِ أَنْسِـــجُ مِغْزَلِـــي ... فَـــاللَّفْظُ مِنْـــكِ مُقَـــدَّسٌ وَالْأَحْـــرُفُ

يتبين لنا جليًا في تلك الأبيات فيضان وسيلان العاطفة بها ، وتدفقها ، حيث جاءت قوية هادرة ، حتى لكأنك لا تسمع للعقل صوتًا معها ؛ لأن عاطفة الحب أسمى العواطف وأنبلها وأقواها ، وهو شاعر رومانسي حالم حساس ، اعتمد علي عاطفته الصادقة في محنته فأمدته بهذا السيل الجارف العذب من الألفاظ الرقيقة ، والصور البديعة ، والأحاسيس المرهفة الصادقة .

وفي مجال حديث الشاعر عن الشكوي والألم نطالع في قصائده الشاكية الباكية عاطفة قوية مشوبة بالوجع الحاد ، ملتهبة بمرارة الهم وغصة الألم ، فحين نستمع إليه في قوله :

الْقَلْـــبُ يَخْفُـــقُ وَالْأَوْجَـــاعُ تُرْدِيْنِـــي وَالْهَـــمُّ يَثْقُـــلُ وَالْأَسْـــقَامُ تُـــوْوِيْنِي
وَالْآهُ أُطْلِقُهَـــا وَالْعَـــيْنُ دَامِعَـــةٌ وَالـــنَّفْسُ تَصْـــرُخُ رَبَّـــاهُ يُـــدَاوِيْنِي
وَالْجِسْـمُ يَحْمِـلُ مِـنْ ضِـيْقٍ وَمِـنْ تَعَـبٍ حَتَّـــى الْجِبَـــالُ تَـــرَاءَتْ لِـــي وَتَرْثِيْنِـــي
(كُوْفِيْـدُ) جَـاءَ بِكُـلِّ الْخُبْـثِ يَنْهَشُـنِي وَأَنَـــا الضَّـــعِيْفُ بِـــلَا دِرْعٍ يُقَـــوِّيْنِي
قَـدْ جَـاءَ يَهْـدِمُ كُـلَّ الْجِسْـمِ فِـي صَـلَفٍ يَخْطُـــوْ وَيَخْطُـــرُ بِالْأَوْصَـــابِ يَكْـــوِيْنِي

نشعر مع قراءة تلك الأبيات الموجعة آهات الألم ومرارة الوجع الذي يدمع العيون ويحرق الأكباد ، وذلك لما أثارته عاطفة الشاعر فينا من إحساس صادق بالألم وشعور بالتوجع ، حتى أصبحنا نقاسمه تباريح تلك الآلام والأوجاع .

وعاطفة الشاعر في شعر الشكوى والألم من الوباء تختلف عن عاطفته في شعر الشكوى من فساد الأخلاق وضياع القيم في زمن الوباء ، فحينما نستمع إليه في قوله:

وَالْفُجْـــرُ فَـــاحَ بِـــلَا خَـــوْفٍ وَلَا أَرَقٍ وَالْفَجْـــرُ لَاحَ بِـــلَا حُلْـــمٍ يُـــدَاعِبُنِي
وَالْكُـلُّ أَضْـحَى بِـلَا وَجْـهٍ يَعِـيْشُ بِـهِ إِلَّا النِّفَـــاقَ فَقَـــدْ أَمْسَـــى يُحَـــاوِرُنِي
مَـا عُـدْتُ أَسْـطِيْعُ أَنْ أَحْيَـا بِـلَا خُـدَعٍ فَالصِّـــدْقُ فِـــي عَـــالَمِي طَيْـــفٌ يُكَـــذِّبُنِي
فَـالْبَسْ قِنَاعًـا تَعِـشْ فِـي الْعِـزِّ ذَا أَلَـقٍ تَجِـــدْ لَذِيْـــذَ حَيَـــاةَ الزَّيْـــفِ تُؤْنِسُـــنِي
فَكَيْـفَ لِـي أَنْ أَلُـوْمَ الـدَّاءَ يَأْخُـذُنِي وَيَحْصُـدُ الـرُّوْحَ بَـلْ بِالسَّـهْمِ يَنْقُضُـنِي

نشعر في تلك الأبيات بعاطفة ساخطة غاضبة ، رافضة لكل تلك الأخلاق والعادات السلبية القبيحة ، التي استشرت وانتشرت في المجتمع إبّان ظهور هذا الوباء .

وحينما نستمع إليه في رثاء الضحايا والشهداء نرى فيه بوضوح تأجج العاطفة وحزنها ، ومرارة الفقد والأسى لرحيل هؤلاء الشهداء الأنقياء الأصفياء ، ذلك لصدور هذا الرثاء الحار عن شاعر مرهف صادق ، يتمتع بحس إنساني كبير ، لا سيما وأنه قد مرّ بآثار وأضرار تلك المحنة القاسية ، التي التهمت أبدان هؤلاء الضحايا ، فكان الموت أقرب إليه من شراك نعله ، فلا غرو أن يأتي رثاؤه في غاية الصدق والتأثير في نفوس المتلقين.

وحينما نستمع إليه في شعره الذي يشكو ويحن فيه إلي المسجد نشعر ونلمس عاطفة المؤمن الصادق الإيمان ، المتألم من الحرمان من أحب وأطهر وأزكي البقاع إلي نفسه .

العنصر الثاني : اللغة والأساليب

أما عن لغة الشاعر " محمد غزاوي " في شعره المتعلق بوباء كورونا فقد جاءت لغة سليمة وفصيحة ، وقريبة وواضحة ، حيث تتسم مفرداته وتعبيراته اللغوية بالرقة والرقي ، وكأن الشاعر يستميل بتلك الرقة والعذوبة اللغوية هذا الوباء الوحشي حتى يخفف وطأته ويكف بأسه الشديد عن حياة البشر التي لم تعد تتحمل مزيدًا من المصاعب والآلام .

وأحسن الشاعر وأجاد أيما إجادة في براعة تأليفه وحسن تنسيقه للكلمات والألفاظ المختارة في شعره ، ونظمها في عقد فني جميل وأخّاذ ، ازدان به الشعر وأطرب سامعيه .

فعلى الرغم من حالة الحزن والأسى التي خيمت علي الشاعر منذ بداية أزمة ذلك الوباء العالمي مرورًا بإصابته به وتعافيه منه إلا أن الشاعر قد استطاع بإيمانه بتجربته الشعرية أن يفر من الشعور والانفعال السلبي الخطير ويحيله إلي قوة فنية دافقة ومؤثرة ، فكان يتخذ من الغزل وقودا عاطفيا للاستشفاء من هذا الداء والتغلب عليه ، ويتخذ من شعر الرثاء مجالا للتنفيس عن مشاعر الفقد والأسى عليهم ، ومن شعر الإشادة بالأطباء وبدورهم مجالا للافتخار بهم وبعملهم ، وغير ذلك من مظاهر وطاقات الأمل والنور التي انبثقت في شعره وسط تلك الأجواء المظلمة الكئيبة .

وجاءت ألفاظ الشاعر ومفرداته اللغوية متوافقة ومتناسبة مع كل حال ومقال أنشد فيه ، فجاءت ألفاظه في شعره الغزلي الكوروني في غاية الرقة والرومانسية الحالمة ، وهي ألفاظ ومفردات تتسم بالأدب والحياء الجمّ ، فلا نكاد نرى فيها لفظة خارجة ، ولا كلمة خادشة ، وإنما هي مفردات غزلية رقيقة وحالمة ، ترقق النفوس ، وتهذب الوجدان والشعور .

وحينما نستمع إليه في شعر الشكوى والألم نراه يأتي بالألفاظ المؤلمة الموجعة ، التي تعضُّ القلب عضّا ، وتقضُّ المضاجع قضّا ، بسبب ما نزل وحلّ به من داء ووباء

واستطاع أن يوظف تلك الألفاظ والمفردات اللغوية توظيفًا أدبيًا وفنيًا سليما ، وأكسبها من عاطفته وشعوره الصادق ما جعل المخاطب يشاركه الألم ويقاسمه الشكوى .

وفي مجال ذمِّه وشكايته من فساد الأخلاق والذمم زمن الوباء نجده يأتي بالكلمات الحادة العنيفة ، اللاذعة الشديدة ، كقوله في هجاء حياة الفهد :

نطقت حياة وكان النطق منها قذى يا ليتها خرست لم يبد منها أذى

نطقت بعهر من الأقوال ترسلها تبًا حياة أين الحياء إذا

أين المروءة لا نرى منها سوى طنين حروف شاهدات بذا

فكما نرى جاءت ألفاظ الشاعر صاخبة وحادة ، تتناسب مع هذا الموقف اللاإنساني البغيض ، الذي قامت به وصنعته صاحبته أثناء تلك الأزمة .

وتظهر كثيرًا في شعر الدكتور " محمد غزاوي " الألفاظ والمفردات التي تدل علي حالة الإنفلات الأخلاقي التي عمّت في زمن الوباء مثل: (الفُجر ، والعهر ، اللؤم ، الحقد ، الزيف ، الكذب ، والخبث ، والنفاق) ، وكذلك نرى كثرة الألفاظ والمفردات التي تدل علي حالة الهم والألم والحزن مثل: (الحزن ، والألم ، والوجع ، والفقر ، والثكلى تولول ، المأتم ، الدموع ، الآهات ، الضرّ) وهي كما نرى ألفاظ ومفردات تناسب هذا الظرف المأساوي الراهن ، الذي خيّم علي الحياة والأحياء .

وفي شعر الدكتور " محمد غزاوي " كذلك بعض المفردات والتعبيرات العامية اليومية الدارجة علي الألسنة ، والتي ناسبت ظروف الحظر ومشاغل وهموم الأسر الحياتية مثل (أكنس غرفتي ، صداع رأسي ، الطبيخ ، الغسيل ، أكوي القميص ، مذاكرة الدروس ، أم العيال .....) ، وهي كما نري ألفاظ ومفردات تتسم بالفكاهة والمرح وتسهم في تغيير الأجواء الحزينة إلي أوقات من المرح والفرح .

وورد في شعره كذلك أسماء لبعض الدول والمدن التي نشأ وولد فيها الوباء وأخري انتقل إليها واستشري بها مثل (ووهان ، الصين ، الروس ، الشرق ، الغرب ،

العرب ، الأمريكان) ، وكلها مسميات وأجناس بشرية تؤكد علي عموم وسرعة انتشار هذا الوباء في كافة الأنحاء والبقاع .

وكذلك ظهور بعض الألفاظ والمفردات التي ناسبت الوباء وأعراضه الصحية مثل: (العطس ، الحمى ، البرد ، الريق ، العظم ، السعال ، حرارة الجسم ، القيء ، الإسهال الشهيق) .

وكذلك الألفاظ والمفردات التي ناسبت الموقف الراهن وظروفه الأمنية وإجراءاته الاحترازية مثل: (الكحل ، الكمامة ، الحظر ، البوكس ، المقدم) .

وتارة كان يعبّرُ الشاعر عن الوباء بلفظ (الفيروس) ، وتارة أخرى يعبر عنه بمسماه الذي شاع واشتهر به وهو (الكورونا) ، وتارة ثالثة يستخدم المصطلح الطبي والعلمي الذي عرف به الوباء وهو (كوفيد ١٩) .

وتظهر في شعر الدكتور " محمد غزاوي " الكوروني روح الدعابة والفكاهة الظريفة والخفيفة ، فعلى الرغم من شدة الظرف الراهن وقتامة المشهد أمام الشاعر سواءً علي الصعيد الشخصي أو المجتمعي من حوله إلا أنه لم ييأس ، ولم يفقد الأمل في البسمة أو الحياة ، وظلت روح الفكاهة والمرح تطلُّ في شعره من حين لآخر ، يرسم بها البهجة والسرور ، والأمل في غد مشرق سعيد ، نلمح تلك الروح المزاحية المرحة في قوله يمازح حبيبته :

قَالَتْ: حَبِيْبِي أَيْنَ حُبُّكَ دُلَّنِي؟! هَلْ كَانَ حُبًّا زَائِفًا قُلْ لِي أَنَا؟!

أَيْنَ الْبُكَاءُ وَأَيْنَ شِعْرُكَ وَالْهَوَى؟! بَلْ أَيْنَ طَيْفُكَ فِي اللَّيَالِي ضَمَّنَا؟!

فَأَجَبْتُهَا: إِنِّي أُحِبُّكِ إِيْ نَعَمْ لَكِنَّ نَفْسِيَ أَغْلَى مِنْ كُلِّ الدُّنَا

وكذلك قصيدته التي أنشدها ساعة أن فقد هاتفه وقت الحظر والتي استهلها بقوله :[١]

يَـا هَـاتِفِي قُـدْ كُنْـتَ لِـي نِعْـمَ الْوَفَـا كُنْـتَ الصَّـدِيْقَ وَكُنْـتَ دَوْمًـا مُنْصِـفَا

وظهر في شعر الدكتور الغزاوي المتعلق بوباء كورونا غلبة الأساليب الإنشائية بصورة واضحة وكبيرة ، ما بين صور الاستفهام، والنداء ، والأمر، والدعاء ، وجاء ذلك الأمر متناسبًا تماما مع شدة الموقف وفداحة الخطب الراهن الذي حل ونزل بالشاعر والناس ، فكان من الطبعي أن يعتمد الشاعر بصورة كبيرة علي مثل تلك الأساليب والصور الإنشائية من الاستفهام الذي تضمن التوبيخ، والتقريع، والتعجب من بعض الأمور والأشياء الغريبة التي جرت ونزلت إبّان الوباء ذلك مثل قوله :

أَيْـنَ الَّـذِيْنَ بِفُجْـرِهِمْ قَـدْ أَظْهَـرُوْا سُـوْءَ الْخِـلَالِ وَرَقْصُـهُمْ لَا يُسْـتَرُ؟!

أَيْـنَ الَّـذِيْنَ تَمَـايَلُوْا رَغْـمَ الْوَبَـا أَيْـنَ الَّـذِيْنَ بِفِسْـقِهِمْ قَـدْ أَنْشَـرُوْا؟!

أَيْـنَ الَّـذِيْنَ بِمَـالِهِمْ قَـدْ فَـاخَرُوْا وَبِكُـلِّ تِيْـهِ الْفَاسِـدِيْنَ قَـدِ انْبَـرَوْا؟!

أَيْنَـاهُمُوْ فِـي ظِـلِّ دَاءٍ عَابِـثٍ حَصَـدَ النُّفُـوْسَ وَكُـلُّ رُوْحٍ تَقْطُـرُ؟!

وبين صيغ الأمر التي تضمنت الانتفاضة واستثارة همم الأبطال لمواجهة الوباء نلمح ذلك في قوله : [٢]

قُـمْ يَـا بَطَـلْ لَا تَنْهَـزِمْ قُـمْ شَـامِخًا مِثْـلَ الشَّـمَمْ

قُـمْ يَـا بَطَـلْ أَنْـتَ الْمُنَـى فَـالْعَجْزُ يَهْـوِي بِـالْأُمَمْ

قُـمْ يَـا بَطَـلْ أَنْـتَ الْفِـدَا أَنْـتَ الْأَمَـانُ لِكُـلِّ هَـدْمْ

(١) الديوان ص ٥٤

(٢) الديوان ص ٨١

قُـــمْ يَـــا بَطَـــلْ وَاشْـــفِ الْأُلَـــى فَـــــــالْآَهُ جَابَـــــــتْ وَالْهَـــــــرَمْ
قُـــمْ يَـــا بَطَـــلْ لَا تَحْـــنِ هَـــا مًـــــــا فَالرِّيَـــــــادَةُ تُسْـــــــتَلَمْ

ونلحظ أن الشاعر قد استخدم صيغة الدعاء قاسمًا مشتركًا في كل قصائده المتعلقة بوباء كورونا ، فما من قصيدة له في هذا المجال إلا ويذيلها ويختتمها بالدعاء والتضرع إلي الله – عز وجل – أن يكشف هذا الكرب ويزيح هذا الوباء عنه وعن الناس جميعًا.

واعتمد الشاعر كثيرا في شعره علي استخدام أسلوب الحوار ، وكان يستخدم مرة الحوار مع العاقل كالمحبوبة والصديق ، ومرة أخرى مع غير العاقل كحواره الماتع مع الملابس والهاتف وغيرهما ، وقد يكون الدافع إلي الإكثار من تلك الحوارات في شعره رغبة الشاعر المصاب المعزول عن الناس والحياة في صنع حوار ولقاء خيالي في شعره ، يستعيض به عن حالة البعد والحرمان التي عاشها إبّان مدة إصابته بالوباء .

وأجاد الشاعر " محمد غزاوي " إجادة بالغة وبرع براعة فائقة في جمال المطلع وحسن الختام ، حيث نلحظ في مطالع قصائده حسن اختيار المطلع الذي يصافح به عيني القارئ ويقرع به مسامعه ، ويطرق به وجدانه ومشاعره ، فكان يحرص أن يكون مطلع القصيدة متناسبًا مع الحال والمقام الذي ينشد فيه . ففي قصائد الغزل كان يستفتح بالمطلع الحالم الرقيق ، الذي يهذب النفوس ، ويرقق المشاعر والأحاسيس ، دون إسفاف أو خروج عن حسن اللياقة والذوق .

أما في ختام القصائد فقد كان الختام بأحسن وأطيب الكلام ، حيث كان الشاعر كما ذكرنا آنفًا قد التزم بصيغة الدعاء في مختتم كل قصيدة ، فيه يضرع إلي الله ويرجوه ويسأله راجيًا وباكيًا أن يكشف الوباء والبلاء عن البلاد والعباد . وصدق الله في قوله العزيز : " قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا " . (١)

(١) الآية ٧٧ سورة الفرقان .

العنصر الثالث : الخيال

مما لا شك فيه أن للخيال بصوره وأشكاله الفنية المختلفة دورًا كبيرًا في إثارة العواطف والأحاسيس ، حيث يهب الخيال العمل الأدبي الرشاقة والحيوية ، ويحيل الصور والأشياء المعنوية إلي واقع ملموس قريب ومشاهد ، وذلك بعد أن يبرزها الشاعر في أنصع حلة من الخيال المحلق ، واللفظ المونق الجميل .

واعتمد شاعرنا " محمد غزاوي " في تصوير مشاعره وتجاربه الخاصة إبّان أزمة كورونا علي كثير من صور ومظاهر الخيال المتعددة . ولعب فن التشخيص والتجسيم دورًا كبيرًا في شعر الدكتور "محمد غزاوي " في نقل الصور المعنوية إلي صور حسية ملموسة ، حتى كأنك ترى الشيء المعنوي ماثلًا أمامك بأعضائه وجوارحه يخاطبك ويحادثك ، نلحظ ذلك في قوله مصورًا بكاء الكعبة والمساجد وقت الحظر :

وَمَسْجِدُ الْحَيِّ بَعْدَ الزَّهْوِ مُنْكَسِرٌ ... يَنُوْحُ أَيْنَ الْأُلَى وَالْبُؤْسُ يَبْتَسِمُ؟

وَكَعْبَةُ اللهِ تَشْكُوْ لَا أَرَى أَحَدَا ... أَيْنَ الصَّلَاةُ وَأَيْنَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ؟

أَيْنَ الطَّوَافُ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ ذَهَبُوْا؟ ... وَظَلْتُ وَحْدِي بِلَا زُوَّارِ أَغْتَمِمُ

أَيْنَ الْبُكَاةُ وَأَيْنَ السَّائِحُوْنَ هُنَا؟ ... فَالْكُلُّ قَدْ وَدَّعُوَا وَالدَّاءُ يَخْتَرِمُ

ويظهر التشخيص الفني أروع ما يكون في قصيدته (بكاء الملابس) التي استهلها بقوله :

بَكَتِ الْمَلَابِسُ وَالدُّمُوْعُ تَرَقْرَقُ ... وَالثَّوْبُ يَجْهَشُ وَالْمَدَامِعُ تُغْدِقُ

وَتَقُوْلُ هَلْ خَاصَمْتَنِيْ (أَمُحَمَّدُ)؟! ... وَالصَّدْرُ ضَاقَ وَبِالْمَآسِي يَنْطِقُ

وفيها صوّر الشاعر الملابس في صورة تشخيصية بليغة ورائعة ، أظهرت الملابس في حالة شكوى وهم وحزن ؛ لما أصابها هي الأخرى جراء هذا الوباء الوخيم .

ومن صور الخيال كذلك جملة التشبيهات والاستعارات التي ظهرت في شعر الدكتور " محمد غزاوي " كالتشبيه البليغ في قوله :

فَـرُوْا كَجُـرْذَانِ السَّـفِيْنِ وَغَـادَرُوْا سَـــوْءَاتُهُمْ تَبْـــدُوْ هُنَالِـــكَ تَعْبُـــرُ

حيث صور في البيت وشبه فرار السفهاء والجهلاء الذين أفسدوا الحياة والأخلاق بفجرهم وفسادهم من ساحة المعركة مع الوباء بالفئران المذعورة الخائفة التي فرّت وهربت ساعة الخطر والخوف ، بعد أن أفسدت ودمرت الحياة من حولها .

وهكذا أدى الخيال بصوره وأشكاله المتعددة دورًا كبيرًا في نقل ما كان يحس به الشاعر من آلام وأوجاع ، حيث إن للخيال بأدواته وألفاظه الموحية أثره في جمال الأسلوب ، ورشاقة التعبير ،وحيوية التصوير ، وروعة الأداء .

العنصر الرابع : الوزن والموسيقا

أما عن جانب الوزن والموسيقا الشعرية عند الدكتور " محمد غزاوي " في شعره المتعلق بوباء كورونا فإننا إزاء شاعر بارع ومتميز ، يجمع في شعره في جانب الوزن والموسيقا الشعرية بين الأصالة والمعاصرة ، والتقليد والتجديد ، مع الإبقاء علي شخصيته الموسيقية المتفردة .

وجاء ديوان (الحب في زمن الكورونا) مشتملًا علي قسمين :

القسم الأول : وهو الأغلب والأكثر جاء علي نسق الشعر العمودي الأصيل ، ويبلغ عدد القصائد العمودية خمسين قصيدة من مجموع ستين قصيدة هي جملة قصائد الديوان ، حيث التزم فيه الشاعر بقواعد الوزن والموسيقا الشعرية الخليلية الأصيلة .

القسم الآخر : وهو الشعر الحر ، وهو دون الأول في عدد القصائد وحجمها في ديوان الشاعر ، حيث لم تتعد العشر قصائد . وتبدو فيه روح الحداثة والتطوير، بما لا يخالف قواعد وأصول الفن .

وآثرت أن تكون القصائد والأشعار المختارة في هذا البحث للدراسة والتحليل من القسم الأول وهو الشعر العمودي، وذلك لأصالة هذا الاتجاه وكثرته في ديوان الشاعر.

والدكتور محمد غزاوي من الشعراء القلائل الذين تبهرك موسيقاهم وأنغامهم الشعرية ، وتشعر أنه يأخذك بشعره في جو متساوق من النغم ، وينقل إليك طاقة شعوره وإحساسه بأوتار عذبة ملهمة .

وأبدع الشاعر في صنع الموسيقا الداخلية لأشعاره ، التي تتمثل في حسن اختيار الكلمات وإيحائها ، وتنسيقها داخل الأبيات بأسلوب أدبي أخّاذ .

ويظهر جمال الموسيقا الداخلية في أبياته من خلال جملة المحسنات اللفظية والبديعية المنمقة التي ظهرت بكثرة في شعره الكوروني ، خذ مثالًا علي ذلك قوله :

والفُجـرُ فـاح بـلا خـوف ولا أرق   والفَجـــرُ لاح بـــلا حلـــم يـــداعبني

فـانظر إلـي جمـال الجنـاس التـام وحسـنه بـين لفظتـي (الفُجْرُ والفَجـر) ، ومـدى ملائمتهما للجو النفسي البائس واليائس الذي خيم علي نفسية الشاعر ، بعد أن أفزعته كثرة المعاصي والفجور دون أمل في غد قريب يغيرها أو يوقفها . وكذلك الجناس الناقص بـين (فـاح ، لاح) ، ففـي وحـدة الـنغم الموسـيقي بـين تلـك المفـردات مزيـد مـن التنغيم الخاص الذي يمتع الآذان والأسماع ، ويطرب النفوس والوجدان .

أضف إلي ذلك صور الطباق والمقابلة الكثيرة التي تزدان بها قصائد الديوان ، والتي تضفي حالة من الصفاء الذهني والسمعي لدي المتلقين .

والجناس الناقص بين لفظتي (يخْطوُ ، ويخْطرُ) في قوله :

قَدْ جَاءَ يَهْدِمُ كُلَّ الْجِسْمِ فِي صَلَفٍ   يَخْطُـوْ وَيَخْطُـرُ بِالْأَوْصَـابِ يَكْـوِيْنِي

وبين تفعيلتي العروض والضرب في قوله :

أَنَـــا لَا أُرِيْـــدُ الْمَنْـــزِلَا   فَالْبَيْـــتُ سِـــجْنٌ أُنْـــزِلَا

بين لفظتي (منـزلا ، وأنـزلا) ، فلا يخفى ما في تلك الأساليب من تناغم وتجانس صوتي وإيقاعي عذب سلس ، يريح النفس ، ويمتع الآذان والأذهان .

أما عن الموسيقا الخارجية في شعر الدكتور الغزاوي فنلحظ فيها التنوع والاختلاف والتطوير ، الذي جاء متناسبا ومتوافقا مع كل قول وحال أنشد فيه الشاعر .

ونلحظ كذلك أنـه كـان يـوثر البحـور والأوزان طويلـة الـنفس العروضـي لصـوغ شـعره المتعلق بوبـاء كورونـا ، وتراوحـت بحـوره الشـعرية فـي معظـم قصـائده مـا بـين بحـور (الـوافر، والكامـل ، والبسـيط) ، وهـي بحـور كمـا نعلـم تتسـم بطـول الـنفس الشـعري الـذي يتناسب مع رغبة الشاعر المصاب ونفسيته الأليمة في سكب الآلام والأوجاع التـي مرّ بهـا وتـجرّع غصّتها .

ويبدو أن اعتماد الشاعر علي تلك البحور خاصة لما لها من طاقات ومساحات موسيقية وعروضية تتناسب مع ظروفه ومناخه النفسي في تلك المحنة ، فهي بحور وأوزان موسيقية تتسم بالبسطة والسعة في التفاعيل والمقاطع الصوتية ، والشاعر في محنته الوبائية وظروف عزله وحرمانه من الاختلاط بغيره أحوج ما يكون إلي مساحة واسعة للقول والبوح والإنشاد ، فناسبته تلك البحور بسعتها وبستطها .

وكان يكثر أيضًا من استعمال نظام البيت المجزوء ، وخاصة مجزوء بحر الكامل ، وهو الذي حذف منه العروض والضرب ، وقد يكون السبب الذي دفع بالشاعر إلي الإكثار من ذلك الأمر رغبته في بث آلامه ومشاعره في دفقات شعورية سريعة تناسب سرعة تغيير الواقع المعاش وتطوره المفاجئ السريع .

أما عن القافية في شعر الدكتور محمد غزاوي فقد نظم الشاعر تقريبًا في معظم حروف الهجاء ، ولم تستعص عليه قافية من تلك الحروف ، وكان لكل قصيدة رويها وقافيتها التي تناسب ظروف إنشائها .

فعلى سبيل المثال نظم في الهمزة قصيدته في رثاء صديقه الدكتور " عبد الهادي " التي مطلعها :

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ وَفَاضَ الدَّمْعُ وانْسَكَبَتْ دِمَاءُ

ولا يخفى ما في الهمزة الممدودة من مساحة واسعة من التنفيث عن حالة الوجع والحزن الشديدة التي اعترت الشاعر لفقد صديقه وزميله الحبيب .

ونظم في قافية الباء الساكنة قصيدته فساد القلوب والتي مطلعها :

طهروا كل القلوب واحذروا كل العيوب

وهذا الروي يتلاءم مع حالة الاستنكار والاستهجان لما أصاب المجتمع من انحلال وانفلات أخلاقي كبير دفع الشاعر إلي الرفض له ، ومحاولة علاج الواقع المرير .

ونظم في قافية التاء المسبوقة بحرف اللين الطويل الممتد قصيدته (وداعًا المروءة) التي خاطب بها أهل قرية شبرا البهو حينما رفضوا دفن جثمان الدكتورة سونيا عبد العظيم والتي مطلعها :

يَـا شُـبْرَا مَالَـكِ تَرْفُضِـيْنَ رُفَـاتِي وَأَنَـا الَّـذِي لَكُمُـو وَهَبْـتُ حَيَـاتِي

وهذا الروي يتمتع بملامح وصفات الهمس والشدة والانفتاح وما إلي ذلك مما يتناسب وصرخات الرفض والاستهجان لما صدر من أهل تلك القرية الغاشمة من فعل قبيح وخلق ذميم تجاه فقيدتهم الشهيدة .

وهكذا كان الدكتور محمد غزاوي يحسن استخدام القافية المناسبة في الغرض الذي يسوق شعره له ، بما يتلاءم مع حالته الصحية ومناخه النفسي إبّان تلك الأزمة .

الخاتمة والنتائج

وبعد هذه السياحة الأدبية والتحليلية في شعر الدكتور محمد دياب غزاوي في ديوانه (الحب في زمن الكورونا) يتبين لنا بوضوح وجلاء وفرة وغزارة النتاج الشعري والفني لدى الشاعر في هذا المجال المستحدث وهو مجال الأدب الكوروني ، وتنوعه ما بين الشعر العمودي والحر ، ورأينا كيف تفاعل الشاعر مع تلك الأزمة الوبائية العالمية ، وتجاوب معها بشعره وفنه ، لا سيما وأنه قد تأذى منها ، وأصيب بها ، فخبُر آلامها ، وعالج غصّتها ، فلم يضعف ولم يستكن أمام قسوتها وشدتها ، واتكأ علي فنه وشاعريته، وراح يتغنى في شعره بما يشعر ويحسُّ به من آلام وأوجاع ويرصد أبعاد ومظاهر تلك الأزمة علي نفسه ومجتمعه ، ورأيناه يتغزل في معمعة الألم وقسوة البلاء لعله يجد في الحب ملاذا أوسلوى عن الآلام والأوجاع ، ورأيناه يشكو ويتألم من شدة الألم والإصابة ، ويحن ويشتاق لعهده وحياته السابقة قبل هذا الوباء ، وهو في شعره الذاتي والشخصي لم ينس عالمه المصاب هو الآخر ولا مجتمعه الذي يئن ويشتكي من الوباء ، فراح يرصد في شعره مظاهر وأحوال المجتمع حوله ، فتحدث عن عموم الوباء وانتشاره بين الخلق ، وتحدث عن آثار وأضرار الوباء التي لحقت بالحياة والأحياء كغلق المساجد ودور العبادة ، وتحدث عن أثر هذا الوباء في أخلاق الناس وسلوكياتهم إبّان تلك الأزمة ، وتحدث عن الأبطال الحقيقين الذين واجهوا هذا الوباء وهم الأطباء الشرفاء ، ثم اختتم حديثه برثاء من قضى نحبه واستشهد جراء هذا الوباء الأليم ، ورأينا كيف أبدع الشاعر في تصويره لهذا الوباء وأبعاده في شخصه ومجتمعه علي السواء فنيًا وأدبيًا ، حتي غدت صورته الفنية التي رسمها حول هذا الوباء في أجمل بيان وأبدع تصوير فني وأدبي .

وكشف هذا البحث عن عدة نتائج من أهمها ما يلي :

- **تمتع الشاعر الدكتور محمد غزاوي بموهبة فنية وشعرية كبيرة ، ظهرت من خلال هذا السيل الشعري المتدفق من الأشعار والقصائد العذبة الرقيقة في ديوانه الحب في زمن الكورونا .**
- **تميز الدكتور محمد غزاوي وتفرده الواضح بهذا الكم الشعري الكبير والغزير في مجال الشعر المتعلق بوباء الكورونا عن غيره ، وإفراده ديوانًا كاملا له .**
- **كشف البحث عن عبقرية الشاعر الدكتور محمد غزاوي في ابتكار بعض المعاني والأفكار الشعرية الجديدة والمستحدثة التي لم تطرق من ذي قبل .**
- **أثبت البحث أثر وباء الكورونا الكبير علي قريحة الشاعر محمد غزاوي التي تفاعلت وتجاوبت مع هذا البلاء العالمي بصورة كبيرة وواضحة .**
- **استطاع الشاعر محمد غزاوي أن يثبت بعبقريته الشعرية الفذة علي تأثر وتفاعل عوامل ومظاهر الطبيعة والكون والحياة معه بهذا الوباء العالمي الخطير .**
- **أكد البحث علي قدرة الشاعر المصاب علي مواجهة الوباء بالفن والشعر ،وتغلبه عليه بالنظم والإنشاد والتغني للحياة ،والاستعاض عن صرخات الألم والتوجع بصيحات الفن وأنات القريض المعبرة .**
- **كشف البحث عن مدى عبقرية الشاعر محمد غزاوي وحسن تصرفه وتملكه فنون القول وناصية البيان ، ونظمه الشعر العمودي والحر في ديوان شعري واحد دون اختلال أو اضطراب .**
- **أثبت البحث سلامة اللغة وعذوبتها ، وقوة الأساليب ووضوحها ، وجدة الأفكار وطرافة الموضوعات ، وصدق العاطفة وجيشانها في ديوان الحب في زمن الكورونا .**

- كشف البحث عن الفضائل والرذائل التي ظهر عليها المجتمع والناس إبّان تفشي الوباء، وتمييزه الطيب من الخبيث من البشر .
- أثبت البحث تميز الشاعر الذي ينظم عن تجربة عاشها ومرّ بها عن غيره ممن لم يعش التجربة ولم يعاصرها .
- تميز الشاعر في ديوانه بخاتمة ثابتة وموحدة التزم بها في معظم قصائد الديوان ، وهي خاتمة الدعاء والتضرع إلي الله تعالي ، وجاءت تلك الخاتمة مناسبة للظرف الراهن الذي مرّ به الشاعر ونظم فيه .

(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- السنن الصغير للبيهقي أبو بكر البيهقي المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م .
- القانون في الطب للحسين بن عبد الله بن سينا الفيلسوف الرئيس (المتوفى: ٤٢٨هـ .
- المستطرف في كل فن مستطرف لشهاب الدين الأبشيهي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ .
- الأوبئة والطواعين كتاب الأمراض والأوبئة وآثارها علي المجتمع المصري لليلي عبد العزيز ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري الظاهري ، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دار الكتب مصر .
- المعجم الأوسط أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة .
- تعظيم قدر الصلاة محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ .
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، الناشر: دار الهداية.
- ديوان ابن نباتة المصري، تقديم: د. عوض الغباري، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٧ م .

- ديوان شظايا ورماد لنازك الملائكة، طبعة بغداد الطبعة الأولي سنة ١٩٤٩ مـ .
- ديوان الحب في زمن الكورونا ،محمد دياب غزاوي، دار النشر مركز الحضارة العربية بالقاهرة الطبعة الأولي سنة ٢٠٢٠م .
- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) لمحمد بن عبد الله بن بطوطة، الناشر: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط عام النشر: ١٤١٧ هـ .
- شرح ديوان عنترة طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولي سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ .
- كنوز الذهب في تاريخ حلب لأبي ذر أحمد بن إبراهيم سبط ابن العجمي، الناشر: دار القلم حلب ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ .
- مناهج البحث الأدبي عبد الرحمن بدوي طبعة دار النهضة سنة ١٩٦٣ م .
- لسان العرب لابن منظور طبعة دار صادر بيروت لبنان .
- ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي الناشر دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .لبنان . الطبعة الأولي سنة ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٠م .
- معجم البلدان لياقوت الحموي ، الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.